

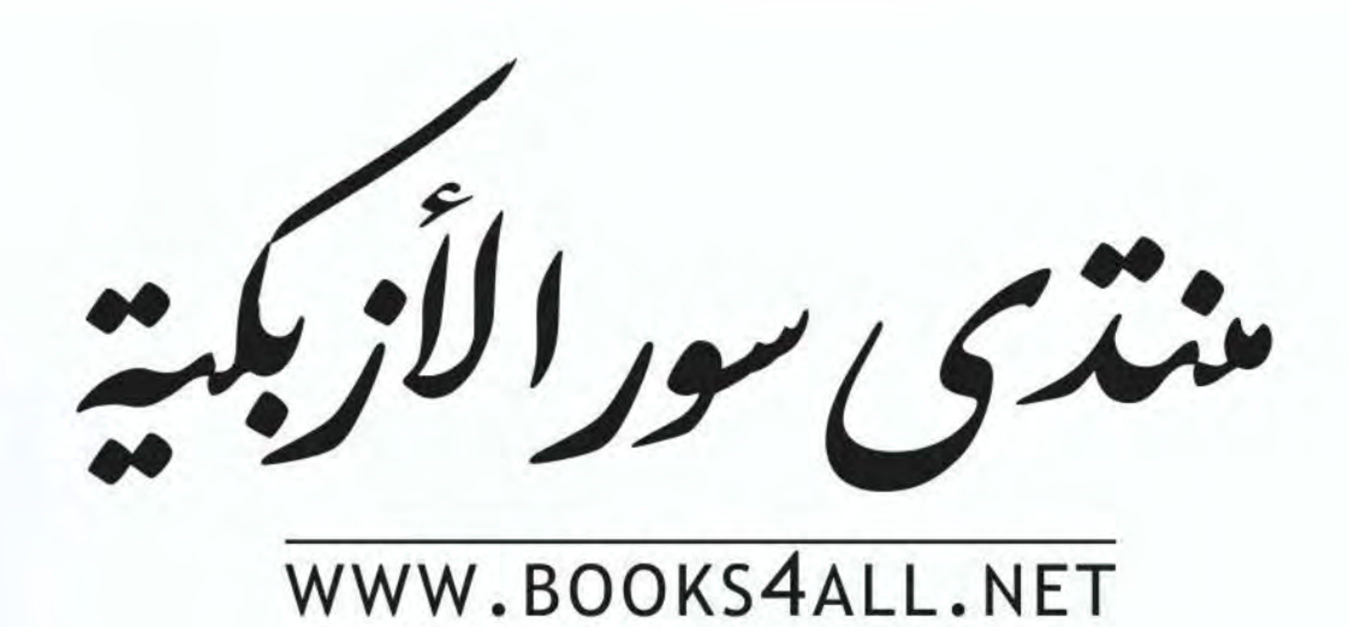

إبراهيم عبد العزيز

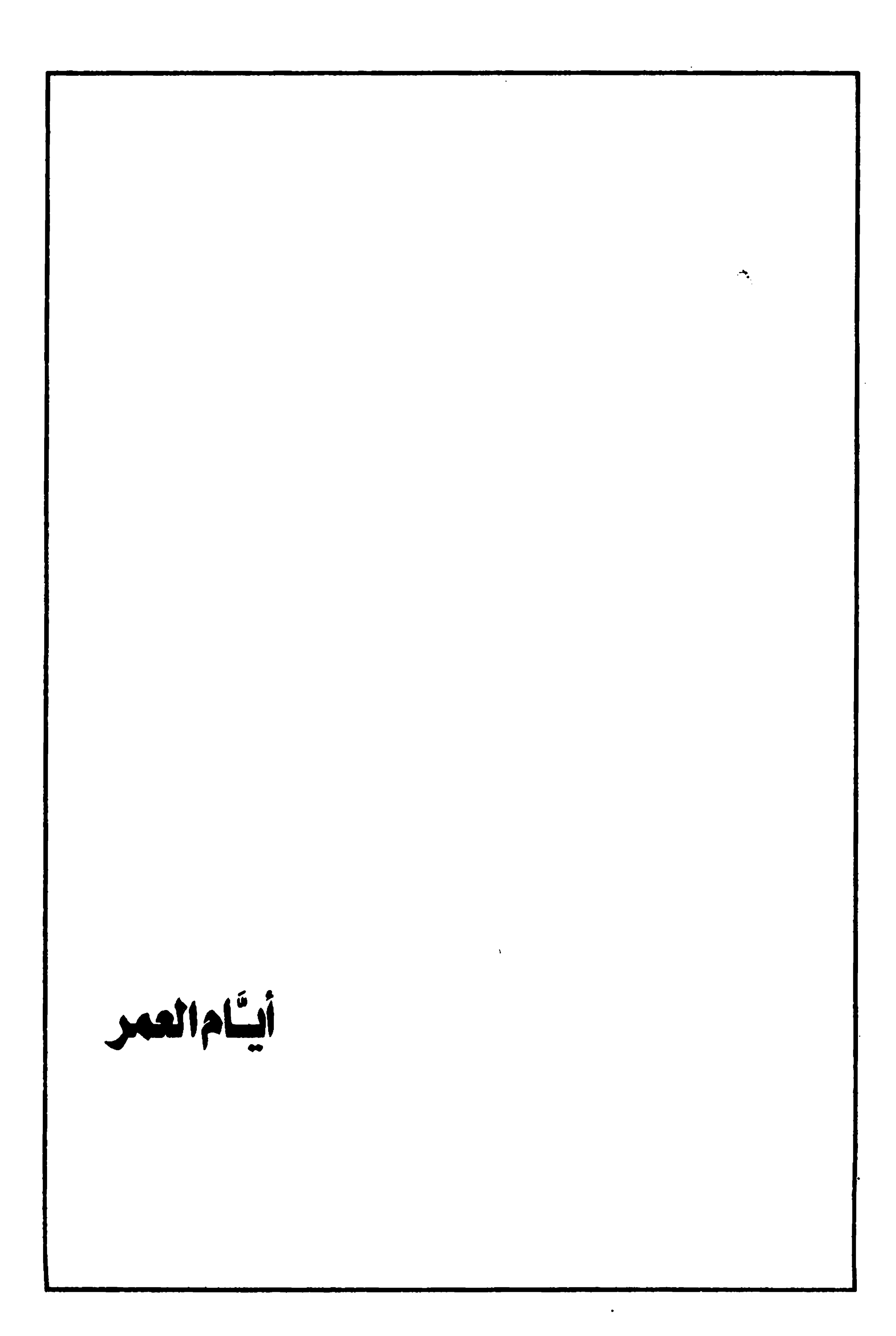
# أيام العمر

## رسائل خاصة بين طه حسين وتوفيق الحكيم



روائع السيرة الذاتية


منتدى سور الأزبكية
WWW.BOOKS4ALL.NET



# أيّام العمر

# أيَّـام العُمـر

رسائل خاصة

بين طه حسين وتوفيق الحكيم

إبراهيـم عبدالعزيز




# مهرجان القراءة للجميع ٢٠٠٣

## مكتبة الأسـرة

## برعاية السيدة سوزان مبارك

(سلسلة روائع السيرة الذاتية)

إشراف: د. سهير المصادفة

أيام العمر
إبراهيم عبدالعزيز


الغلاف
والإشراف الفنى:
الفنان : محمود الهندى
الإخراج الفنى والتنفيذ:
صبرى عبدالواحد
الإشراف الطباعى:
محمود عبدالمجيد
المشرف العام :
د.سمير سرحان

الجهات المشاركة :

جمعية الرعاية المتكاملة المركزية

وزارة الثقافة

وزارة الإعلام

وزارة التربية والتعليم

وزارة التنمية المحلية

وزارة الشباب

التنفيذ : هيئة الكتاب

## على سبيل التقديم:

لا سبيل أمامنا للتقدم والرقى وملاحقة العصر إلاّ بالمزيد من المعرفة الإنسانية.. نور يهدينا إلى الطريق الصحيح، ولأن مكتبة الأسرة أصبحت أهم زهور حدائق المعرفة نتنسم عطرها ربيعًا للثقافة المصرية الأصيلة.. فإننا قطعنا على أنفسنا عهدًا ووعدًا ليس لنا إلا الوفاء به لتثمر شجرة المعرفة عطاءً للأسرة المصرية.

د. سمير سرحان

# الإهداء

إلى أخي أبو رحمة ..
التي طال انتظاره وشوقه إليها ...
حتى جاءته بعد صبر كاد أن ينفد
لولا أن الله قد صدقه وعده
« فإن مع العسر يسرا إن مع العسر يسرا »
فلتكن له يسرا من اليسر ، ورحمة
من الرحمة تقر بها عيونه والديها

المؤلف

# أيّامُ العُمْر

رسائل خاصة
بين طه حسين وتوفيق الحكيم

---

«.. جمعتنا أجمل أيام العمر،
كما جمعنا الفكر على
صفحات كتاب ..»

توفيق الحكيم

# مقـــــدمة

على مدى التاريخ الأدبى العربى الحديث أثناء قوته وزهوه وغنائه يمكنك ان تستخرج علاقة صداقة ادبية ، ويمكنك أن تجد لها نموذجا يعبر عن تلك الصداقة وعمقها واثرها ونتاجها بين عملاقين من عصرهما وبيئتهما ، ويمكنك ان تشير الى طه حسين وتوفيق الحكيم كمثل ونموذج وتطبيق لهذه الصداقة الأدبية على الرغم من ان اوجه الاختلاف أكثر من اوجه الاتفاق بين الشخصيتين ، واسباب الخلاف ابعد من اسبـاب الالتقاء ، وحجم الدور ونوعيته وتاثيره فى الحياة الأدبية والثقافيـة يختلف بينهما . ولكن عصراً رائعاً جمعهما هو عصر النصف الأول مـن القرن العشرين ، ومكانا اروع من العصر نفسه جعلهما يلتقيان ، هو : مصر التى يحار المرء كيف اجتمع لها فى عصر واحد وجيل واحد مـن اسباب القوة الثقافية والأدبية والفنية ما لم يتوفـر لهـا فى عصر من العصور بمثل هذه القوة وهذا الثراء الذى لانزال نتغنى به حتى الآن ، وان كان البعض يرجعه فيما يرجعه من اسباب الى ثورة ١٩١٩ التى صهرت الشعب المصرى كله نحو امل واحد ، وهدف واحد ، هو التحرر من قبضة المحتل الانجليزى الجاثم فوق القلوب والصدور حتى استحال هذا الضغط فوق تلك القلوب وتلك الصدور الى قوة أطاحت بكـل ضغط ، معبرة عن نفسها كاشد ما يكون التعبير فى الثورة على كـل القيود السياسية والاقتصادية والفنية والأدبية والاجتماعية .

سعد زغلول وصحبه ومن أتى بعدهم يسعون الى التحرر الوطنى .
طلعت حرب يعمل على الاستقلال الاقتصادى .

مختار يعيد مجد النحت المصرى القديم متطلعا الى « نهضة مصر » مجسدا اياها فى تمثال نابض بالروح لا يزال قائما أمام جامعة القاهرة داعيا الى تجديد تلك النهضة كلما خفت صوتها أو انطفأت جذوتها .

مصطفى كامل الغمراوى يدعو الى انشاء جامعة مصرية فيلبى المصريون النداء .

قاسم امين يدعو الى تحرير المرأة نصف المجتمع فتستجيب هدى شعراوى وصويحباتها ليكون اول خروج للمرأة للمشاركة فى احداث الوطن من خلال مساهمتها فى ثورة ١٩ .

سيد درويش يؤسس مدرسة مصرية فنية فى الغناء والموسيقى معبرة عن هموم واحلام طوائف الشعب القابعة فى الظل لكى تقوم ملبية نداء بمصر .

لطفى السيد ينادى بمصر للمصريين ويحتضن شباب النهضة فى ( الجريدة ) .

العقاد يقف فى البرلمان منددا بالملك اكبر راس فى البلاد غير عابىء بالعواقب .

وعلى عبد الرازق يتصدى لرغبة ملكية فى وراثة الخلافة ، مفندا بطلان تلك الرغبة فى كتابه « الاسلام واصول الحكم » .

طه حسين يمزق غلاف التقاليد الأدبية السميك وينشىء منهجا جديداً فى النقد والأدب تاسس بكتابه « فى الشعر الجاهلى » ، بينما اعتبر النائب الذى حقق معه وهو « محمد نور » أن قضية طه حسين قضية تفكير لا قضية تكفير .

توفيق الحكيم يؤسس فن المسرحية فى الأدب العربى .

وفى كل مجالات الحياة حتى الرياضية منها ستجد ان النهضة قد انعكست على كل مناحى الحياة المصرية، ووجدت صداها فى العالم العربى لتحدث وعيا متناميا مزق العباءة العثمانية التى نام بها العالم العربى لسنوات طويلة حتى ايتقظه منها الأفغانى ، والطهطاوى ، ومحمد عبده ، لتشيع اليقظة بعد ذلك مؤتية ثمارها على مر السنوات التالية لتنتج ثورة

شعبية بصرف النظر عن نتائجها السياسية فقد كانت نتائجها الاقتصادية والثقافية والفنية والأدبية والاجتماعية اعمق اثرا واشد خطراً فى بعث روح الشعب ونهضة الأمـــة .

★ ★ ★

ولكن تظل حيرة المرء قائمة : هل الثورة الشعبية أو مناخ الثورة هو المفتاح الذى فجر كل هذه الطاقات واظهر لنا كل هذه الرموز فى تلك المرحلة ، فيما يعزى الفضل فيه الى ثورة ١٩ ؟

وهل يعنى ذلك انه لا توجد سوى الثورة وسيلة لكى تنهض وتبرز لنا مواهب تلك النهضة ؟ أم هى الصدفة القدرية البحتة التى جمعت فى هذه الفترة من تاريخ مصر ، كل هذه المواهب والعبقريات ليتواكـب ظهورها مع الأمل فى الحرية لتعبر عن نفسها بثورة بدأت سياسيـة وانتهت لتشمل كل أرجاء الحياة على ارض مصر فاستحالت الى حياة غير تلك الحياة التى سبقتها ؟

فى يقينى أن الثورة الشعبية الباحثة عن هدف نبيل هو التحرر من كل صنوف القهر والطغيان ، قد تكون سببا من الأسباب ، ولكنها حتما لن تكون السبب الذى يعزى اليه كل الأسباب .

ولكنه المناخ الملائم الذى يرعى الموهبة ويدفع بها الى النمو والنضج هو السبب بل هو اكثر الأسباب قبولا فى المساعدة على ظهور المواهب ، والا فقل لى لماذا لم يظهر مجدى يعقوب وذهنى فراج ( نابغتا الطب ) ، وفاروق الباز ( نابغة علوم الفضاء ) وغيرهم كثير فى مجالات كثيرة ) فى بيئة غير بيئتهم ومناخ غير المناخ الذى ظهروا ونشأوا فيه .

لا شك ان هناك خللا ما فى منظومة حياتنا قد أودى بالعشرات مـــن تلك المواهب الا من ساعدته قدراته على الافلات الى حيث يجد البيئـــة الصالحة والمناخ الصالح لنموه ونبوغه وظهوره .

واجدنى ألخص كل العوامل التى تحول دون ظهور مواهب متعددة فى شتى مجالات حياتنا ( التى لا شك أنها تقدمت ثقافة وتعليما ووعيـــا

فى نهاية القرن العشرين عما كانت عليه فى بداياته ) فى كلمة واحدة هى « الأنانية » والا فقل لى اى كلمة أخرى اكثر تعبيراً عن هذا الفقر فى المواهب الذى طبع حياتنا التى لا شك انها حياة اغنى واقدر واخصب عما كانت عليه فى مطالع القرن العشرين الذى كانت علامته وشعاره وماركته المسجلة البغيضة ( الفقر . الجهل . المرض ) .

فأين نحن الآن من هذا الثالوث اللعين تفسيراً لغياب المواهب ، الا ان تكون حياتنا قد استبدلت بهذا الثالوث غير المقدس شيئا اقبح واسوأ منه الا وهو ( الأنانية ) التى تجعل كل من كان فى موقعه حريصا على الاستئثار بهذا الموقع مدى الحياة غير متيح الفرصة لآخرين يخلفونه ويتدربون على ممارسة مسئولياته ، كأنه سيعيش ابداً ، مما جعل المسئولين يعتقدون بالفعل الا مواهب غير تلك المواهب التى يمثلونها ، وأن ما بعدهم خراب ودمار وانهيار ، مما حركهم ليسنوا قوانينا فى المجالس التشريعية يبيح المد ، اعواما اخرى فوق الستين التى حددتها القوانين لنهاية مدة الخدمة ، وراح نواب الشعب يبررون قلة حيلتهم امام اصدار هذا القانون لعدم وجود اجيال اخرى على نفس الدرجة من الكفاءة والموهبة !!!

لقد بحثوا عن الحل المؤقت ، وقوانين تسكين المشكلة دون ان يبحثوا عن اسباب المشكلة نفسها ، ودون ان يسألوا عمن يكون السبب فى عدم ظهور جيل جديد كفء قادر على تحمل المسئولية .

وهل بعد تدشين المشكلة وتقنينها يمكن لأى مسئول فى اى موقع انتاج ، او صحافة او ثقافة ان يسمح بظهور شاب له من المواهب والكفاءات ما يؤهله لكى يحل مكانه ؟

لقد كان جيل الرواد كباراً فى نفوسهم ، وكباراً فى مواهبهم ، ولذلك كانت سعادتهم بالغة حينما يرون اجيالا اخرى لديها الموهبة والقدرة والاستعداد فيؤهلونها لكى تأخذ مكانها وتبلغ مكانتها .

لقد كان السقف عاليا يسمح لمن لديهم القدرة على النمو والنبوغ بأن يكبروا ما استطاعوا الى ذلك سبيلا ، كل حسب قدراته ومواهبه.

وكان هؤلاء الرواد كباراً لا يقلقهم ان يكبر الآخرون ، ولا يزعجهم أن ترتفع قامة اجيال جديدة ، لأن نفوسهم كبيرة ومواهبهم كبيرة ، ونفوسهم خالية من الأنانية التى هبطت بسقف حياتنا المعاصرة حتى اصبح فى حكم المستحيل ان تنمو موهبة موهوب ، لان الأقزام ، حوله لا تطيق الا ان ترى نفسها هى صاحبة الوجود الذى لا وجود ينافسه ، حتى لو كان وجود الأقزام « هلاميا » وموهبتهم « زائفة » وكفاءتهم وهمية ، « فالأقزام » لا تحب الا ان يكون من حولها « اقزاما » مثلها بل اقل منها حتى لا يبدو فى الصورة غيرهم ، ولا يظهر على الشاشة سواهم ، فيشيعون جواً من الاحباط حولهم ، وييئسون الأجيال من بعدهم ، فتموت فيهم روح الموهبة ، وتقتل فى نفوسهم اى قدرة على الابداع ، ليصير الجميع « موظفون » لخدمة لقمة العيش ، فلا مكان لموهوب ، ولا مكان لموهبة الا تحت الثرى لا فوق الثريا ، فليحتفظ الموهوب بموهبته لنفسه ، لا حاجة لنا بها ، خذ مكانك فى وظيفتك حسب مؤهلك ودورك ، واذا لم تكن تجيد صناعة النفاق والزلفى لرؤسائك فسوف يضيع حقك وتحرم منه ويسبقك اليه اهل الحظوة والقربى وحملة المباخر ، وما سحى الجوخ وأهل النفاق ، واذا تجرات مطالبا بحقك فانت مشاغب معوق للعمل ، وحاقد ولا بد من عقابك ، واذا كنت متمردا لا تقبل الظلم ولا تستكين الى الضيم وتأبى مصاحبة الرضى بالمكتوب والمقدر ، تصبراً بواقع الحال ، ولجأت الى حصن العدالة وميزان القضاء ، فليطل الله فى عمرك وليطل فى عمر ورثتك !



ليست هذه دعوة لليأس ، ولا اشاعة للاحباط ، والا فليقل لى من يتهمنى بذلك ، وليجبنى :

هل نضبت حياتنا من المواهب وخلت من الكفاءات الى هذا الحد المجدب المقفر كما هو ظاهر لنا ؟

والا فليقل لى قائل وليجبنى ان استطاع :

هل يوجد فى مجالنا الذى يهمنا الآن من يفتح ابواب صحيفة يديرها لشباب موهوب كما فعل لطفى السيد فى ( الجريدة ) مع طه حسين ، ومحمد حسين هيكل ، وغيرهما ؟

وهل يوجد مثل الزيات فى ( الرسالة ) يتلقى ابداعات الشباب فينحى اسماءهم جانبا ليكون الحكم على الابداع من الابداع نفسه لا من اسم صاحبه وشهرته حتى لو كانت شهرة فارغة مما يوصم به مجتمعنا الأدبى ، وحياتنا الثقافية ، الآن ، التى عرفت « الشللية » طريقها اليها ، وما كان الابداع ، وما كانت الثقافة ، ولا كان الأدب قبل الآن يعرفها .

وهل كان يمكن لأسماء كطه حسين ، والعقاد ، وتوفيق الحكيم، أن تظهر فى مناخ كمناخنا هذا ، وأن تبرز فى بيئة كبيئتنا هذه ؟

لا يقل أحدكم أن الزمن قد تغير ، وأن الظروف قد صارت غير تلك الظروف ، فالظروف الآن أفضل ، والزمان الآن أفضل ، فلا تعيبوا الظروف ، ولا تعيبوا الزمان ، فالعيب فينا ، وما لزماننا عيب سوانا ، والا فدلونى الآن على واحد من الأدباء يبتهج بظهور اديب جديد ويسعد به ويقدمه للناس ويساهم فى شهرته ؟

لقد وجدنا هذا يحدث فى زمن خلا من الشللية والأنانية ، فظهر الأديب الشاب « توفيق الحكيم » بقصته « أهل الكهف » ، بل لقد ظهرت القصة دون أن يظهر صاحبها لأنه كان لا يزال يعمل وكيلا للنيابة « بدمنهور » فى مطلع الثلاثينيات ، لتحدث القصة دويها الذى لم يكن يتوقعه صاحبها نفسه ، فيكتب الشيخ مصطفى عبد الرازق فى جريدة « السياسة » مثنيآ على « أهل الكهف » وما فيها من خيال موفق ، وفكر مستقيم ، وذوق مستقيم .

وكتب « المازنى » فى صحيفة « البلاغ » منوها ، ثم ساخرآ فى محاضرة ادبية :

ان مؤلف « أهل الكهف » هو نفسه من « أهل الكهف » ، لأنه لم يكن قد ظهر بعد بشخصه فى المجتمع الأدبى .

وتناول « العقـــاد » « أهل الكهف » باهتمام وتقريظ .

وتوالى كبار الكتاب يحتفون « باهل كهف الحكيم » الذى عومـــل بسببها معاملة كبار الكتاب فى مجلـــة « الرســـالة » ، غير أن كلمـــة طـــه حسين كانت هى القول الفصل الذى دشن لتوفيق الحكيم شهرته، ووضعه فى مكانه الصحيح باعتباره فاتحا لباب جديد فى الأدب العربى ، وباعتبار « أهل الكهف » فتحا للكتاب فى باب التمثيلية الأدبية .

ومنذ ذلك الحين نشأت بين الأديبين علاقة وصداقة قلما نجد لهـــا نظيراً الآن الا لارتباط المصالح والمنافع المتبادلة من باب اذا كتبت عنى ساكتب عنك ، واذا كتبت منك فما هو حجم الفائدة التى ساجنيها من ورائك ، وما هى قيمة النفع الذى ساحققه من ورائك معنويا أو ادبيـــا أو ماديا ، وما دخل فى باب الاستثناء عن تلك القاعدة انما يؤكد القاعدة ولا ينفيهـــا .



ويحلو لنا فى ظل هذا المناخ غير الصحى السائد ان نعود لنتذكر مناخاً آخر فى مطالع هذا القرن وبواكير عقوده الأولى لنتعرف على طرف من اجواء ذلك المناخ الصحى فى علاقة الأدباء ببعضهم ، وسيكون اختيارنا لهذه العلاقة الأدبية من خلال طـــه حسين وتوفيق الحكيم رغم ما شاب تلك العلاقة من تنافس أحيانا ، وغيرة احيانا اخرى ، وغضب وفتور احيانا ثالثة .

غير أن كل ذلك قد سقط فى حساب التاريخ لتظل مدلولات تلـــك العلاقة وتلك الصداقة لتعطيها التغيرات البشرية طعم ولـــون تلـــك العلاقات الانسانية التى لا تخلو منها اى علاقة بشرية لا تدوم على حالة واحدة ، ولا تسير على وتيرة منتظمة ، ولكن تبقى العلاقة الادبية هى أغنى تلك العلاقات الانسانية واثراها واكثرها دلالة على العصر والبيئة والتاريخ .



ولنعد الآن الى مطالع هذا القرن لنتعرف على موقـع طـه حسين وتوفيق الحكيم من عصرهما .

كان طـه حسين اسبق فى الميلاد واسبق فى الظهور واسـبق فى الاثر الأدبى ، واسبق الى اشهار شهرة قرينـه فى الأدب « توفيـق الحـكيم » .

وعلى الرغم مما بين الأديبين من اوجه الاختلاف الا أن اجتماعهما على حب الأدب قد وفق بينهما فتصـادقا وتراسـلا وأنشـأ « القصر المسحور » بعد ان انشأ كلا منهما لنفسه مكاناً راسخاً فى الضمير الأدبي.

لقد ولد طـه حسين فى ١٤ نوفمبر ١٨٨٩ م بعزبة الكيلو ، مركز مغاغة بمحافظة المنيا بصعيد مصر .

أما توفيق الحكيم فقد لحق به بعد هذا التاريخ بحوالى تسـع سنوات ولكن فى الوجه البحرى حيث ولد فى ٩ اكتوبر ١٨٩٨ م بمحافظة الاسكندرية .

واذا كان طـه حسـ قد فقد بصره تماما على يد حلاق القريـة ، فان الحلاق كان هو نفسه الذى انقذ العين اليمنى لتوفيق الحكيم التى كانت مهددة بفقدان البصر ، واذا كان اهل طـه قد اهملوا الطبيب واطلقوا اليد للحلاق فى علاج عينى ابنهم ، فان أهل الحكيم قـد ذهبوا بابنهم الى الطبيب الذى يئس من علاج الرمد الصديدى فنصحهم بالاعتماد على الحلاق ليفصد له دما ، فجاءوا « بعلى النوام » الذى سهر على عين الحكيم يغسلها له بالمطهرات حتى زال الخطر .

فكان حلاق « الحكيم » سببا فى انقاذ عينيه ، وكان حلاق « طـه » سببا فى ضياع آخر أمل فى انقاذ عينيه فافقدهما آخر بصيص من النور . واذا كان طـه حسين قد ثار على الأزهر وعلومه الجامدة وشيوخـه التقليديين حتى وجد فى الجامعة مبتغاه ومطلبه ، فان الحكيم قـد ثار على دراسة القانون ودكتوراه القانون .

وبينما عاد طـــه من باريس حاملا الدكتوراه فى الآداب ، فقد عاد توفيق الحكيم من باريس حاملا صناديق من الخشب مملوءة بكتب الفن والادب والثقافة ليلبس اهله الهم والغم والأسى وهم من حوله يتهامسـون :

ياخيبتنا . ياخيبتنا .

وذلك بعد أن فشل ابنهم فى الحصول على دكتوراه القانون التى ارسله والده الى العاصمة الفرنسية للحصول عليها ، أما طـــه فقــد اراد أن يدرس القانون الى جانب دراسته للاداب وما اكثر ما لام نفسـه وشق عليها فى اللوم لانه لم يتم ما حاول من دراسة القانون ، ولكنه عاد على اية حال ليستقبله المجتمع وتستقبله الجامعة فرحـــة مبتهجـــة باستقباله اجمل استقبال كاول ابن من ابنائها يحصل على الدكتوراه .



فى باريس كان طـــه حسين يسكن الحى اللاتينى ، حى الجامعة .

وفى باريس أيضا كان توفيق الحكيم يسكن ولكن فى حى « مونمارتر» وهو حى رجـــال الفن .

كان طـــه محبا للعلم والتحصيل والتفوق فى الدراسة والحصول على أرقى الشـهادات الأكاديمية .

بينما كان الحكيم نافرآ من الدراسة ، ينجح كيفما يستطيع النجاح ويتخرج كما يستطيع أن يتخرج ، ولهذا عندمـــا ذهب الى احـــدى المحاضرات(*) فى « السوربون » ووجد المحاضر يحاضر فى تعمق فى دراسة « موليير » ، فخرج من عنده ولم يعد ثانية ، فلم يكن يهمه تاريخـــه ونشاته ولكن كان يهمه عمله .

كان طـــه أيام شبابه يـــكره أن يشـغـــل بشىء غير الجـــد ، أما الحكيم فكان يشغل نفسه بفرقة عكاشة التمثيلية وما يمرن به نفسه يمدها به ، هما حدد طريقه وحدد خطاه مما لم يستطع الى الافلات منه

(*) من حوار الحكيم لمامون غريب فى اخر ساعة ١٩٨٥/١/١٦ م .

سبيلا رغم محاولة والده أن يبعده عن ذلك المناخ بدراسة القانون فى باريس عله يسلك بعد عودته طريق والده فى القضاء ، فاذا بالحكيم بدلا من أن يبعد عن مناخ الفن اذا بـه يقترب من بيئة للفن أكثر خصوبة واتساعا وثراء فوجد فيها نفسه ليعود مشبعا بالفن وأكثر استعدادا ليكون فنانا ، وان كان قد عمل بعض الوقت وكيلا للنيابة ارضاءا لوالده الذى خاب أمله فى حصول ابنه على دكتوراه القانون ، الا أن فن الكتابة المسرحية لم يفارقه طوال الوقت ، فهو كما وصفه طـه حسين ( فى تقديمه للمجمع اللغوى ) يؤدى واجبات وظيفته ليخلص من أداء هذا الواجب وليمضى من التقصير ، ولكنه يمنحها أيسر ما عنده ، محتفظاً بخير ما عنده لهذا الفن الذى استأثر به .



كان طـه حسين جسراً للثقافة بين الشرق والغرب فيما نقل الينا من ثقافات اليونانيين وثقافات الأوربيين ، وكان صاحب أسلوب ممتع سهل كالمنفلوطى ، أديبا مبدعا وناقداً للأدب بروح المبدع لا بروح الناقد ــ كما وصفه الحكيم (*) ــ ولذلك كان الحب والكره يدخل فى تقييمه لمن ينقدهم وليس أدل على ذلك من تقديمه لحافظ على شوقى حين تعرض لهما فى كتابه ( حافظ وشوقى ) .

وكان الحكيم فنانا مبدعا عرف الفن وتذوقه ، من اتصاله بالفنانين منذ صباه حين عرف عالم عوالم الفرح ثم صادق الفنانين فى شبابه ، مما لم يتح لطـه حسين بسبب ظروفه الخاصة فلم يستطع أن يتذوق الفن الا عن طريق وسيلته فى الدرس والقراءة والتحصيل ، ولكن فضل طه حسين انه كان رائداً من رواد النهضة الأدبية والنقدية بـل هـو مؤسسها فيما غير به مناهج النقد بثورته ( فى الشعر الجاهلى ) ، كما كان رائداً من رواد العلم والثقافة والتنوير.

وكان توفيق الحكيم مؤسساً لفن المسرح التمثيلى كباب من أبواب الأدب اضافة للأدب العربى ، فكان رائده الذى احيا به المسرح وأنواره بعد أن كان قد مات وانطفأت أضواؤه أو كادت ، حين عاد من باريس ،

(*) المصدر السابق .

لتعود بعودته أضواء المسرح الى الظهور كفن محترم فى باب الأدب وفى باب التمثيل ، تقبل شهادة اصحابه باعتبارهم فنانين محترمين لا مشخصاتية ، كما كانوا يوصمون ويوصفون به .

★ ★ ★

لقد استطاع طـه حسين أن يحفر لنفسه مكانا مرموقا بين ادباء عصره ، قبل ان يحفر توفيق الحكيم لنفسه مكانا مرموقا ايضا بين هؤلاء الادباء كاديب فنان ، حتى أن الحكيم كان قد سمع باسم طـه حسين قبل أن يسافر الى باريس فى مهمته الفاشلة للحصول على دكتوراه القانون .

يقول فى سيرته الذاتية ( سجن العمر ) :

بلغ مسمعي أن شابا ازهريا مكفوفا نابغاً يهاجم بمقالاته العنيفة علماء الأزهر المتجمدين دون أن يخطر لى على بال انه بعد نحو عشرة أعوام ستنشأ بينى وبين هذا الأزهرى النابغة صداقة . وسنمرح معا على جبال الألب ونسجل معا مرحنا فى كتاب » .

أما كيف بدأت صداقة طه حسين وتوفيق الحكيم ؟ فان الحكيم قد تجاهل هذه البدايات فى سيرته الذاتية ، ولم يشأ طـه أن يتحدث عنها ولكنه علق على ذلك فى معرض تقديمه وعرضه لتلك السيرة قائلا : (*)

« وانا اشكر للكاتب اشارته الى وذكره أننا صرنا صديقين ، ولكنى لا ادرى لماذا لم يبين كيف صرنا الى الصداقة ، ومن يدري لعل ذلك لأن طبعه اكبر من موهبته ومن جهده ومن امله معاً » .

وكان طـه حسين يشير بذلك الى ما يقوله الحكيم عن نفسه من أن « أمله اكبر من موهبته ، وأن موهبته سجينة طبعه الذى ورث اكثره عن أبويه » .

---

(★) اخبار اليوم ٣٠ يناير ١٩٦٥ .

فيرد عليه طـــه « ان امل كل كاتب أكبر من جهده ، وأن هذه هى مزية الكاتب الجدير بهذه الصفة ، كما انها مزية الشاعر الممتاز والفنان البارع بوجه علم ، وويل للأديب الذى يكون أمله على قدر جهده ، فهذا الرجل ليس من الأدب الحق فى شىء ، وانما هو الأديب المتـــكلف ، والمتكلف لما لا يحسن ولما لم يخلق له » .



اما كيف بدأت صداقة الأديبين الكبيرين ، وامتدت الى ما وصلت اليه ؟ فهذا ما سنحاول الاجابة عليه فى الفصول التالية مستعينين فى ذلك بما بين ايدينا من بعض الوثائق .

# طه حسين يحتفي بأهل الكهف
# وتوفيق الحكيم يهرب منها!

---

«... لم أتردد في اعلان أسفي،
لأن الأستاذ توفيق الحكيم لم يكن
حاضرًا (....) ولكن أنبئت أنه
قد آثر الفرار من هذه الموقعة التي
كانت بينه وبين جمهور النظارة ..»

طه حسين

( ١ )

فى نهاية تعليق طـــه حسين على السيرة الذاتية لتوفيق الحكيم « سجن العمر » الذى صدر عام ١٩٦٤ ، سوف نكتشف سر المشكلة بينهما والتى بدات ظاهريا بعد اصدار الحكيم لرائعته « اهل الكهف » ١٩٣٣ ، يقول طه حسين موجها حديثه الى توفيق الحكيم فى لهجة تحمل الكثير من السخرية والعتاب (*) :

« وإنا على كل حال أهدى الى الكاتب الصديق تهنئة خالصة وشكراً جميلا لأنه تفضل فلم يرسل لى كتابا من كتبه منذ سنين ، فله الشكر ، وان كنت أرجو أن يأذن لى فى أن آخذ شيئا من هذا الشكر لأهديه الى الصديق الكريم الذى اعارنى هذا الكتاب !! ».

★ ★ ★

فرغم صداقة الأديبين الكبيرين الا أن الحكيم لم يهد طـــه كتـــابه « سجن العمر » ومع أن ذلك كان يقتضى من طـــه أن يتجاهل الحكيم وكتابه الا أن طـــه قد حصل على الكتاب وعلق عليه محبا ومحتفياً ، وهذا يبين احدى صفات طـــه حسين عميـــد الأدب العـــربى المحب للموهوبين ، الحريص على تقديمهم والاحتفاء بهم سواء رغبوا فى ذلـــك ام لم يرغبوا ، ومن ذاك الذى لا يرغب الا « توفيق الحكيم » الذى كان لا يرغب أو يبدى انه لا يرغب أو يزعم انه كذلك ، أو كما وصفه طـــه

(*) السابق .

حسين بأنه « مصنوع متكلف ، متعمل ، بعيد كل البعد عن الحياة الطبيعية المألوفة ، والناس يعرفون منك صورة ليس بينها وبين شخصك الحقيقى صلة من قريب او بعيد » .

هكذا خاطب طه حسين ، توفيق الحكيم ، بوضوح لا يعرف التكلف او التصنع حين تدمه لمجمع اللغة العربية ، وهى سنة استنها العميد وصارت تقليداً من تقاليد المجمع ، وهى تتفق مع سيرته فى تقديم الموهوبين والاحتفاء بهم سواء كانوا مجهولين فى بداية ظهورهم أو متألقين بعد أن صاروا نجوماً .

وحين ظهرت « أهل الكهف » التى طبعها توفيق الحكيم على حسابه أحدثت دويها ، وعلق عليها كبار الكتاب ما عد اطه حسين الذى لم يكن قد ظهر بعد ليدلى بدلوه فى «أهل الكهف» .

فلماذا كان صمته ثم لماذا كان تعليقه وترحيبه الذى فاق كل تعليق وكل ترحيب ؟

الاجابة يقدمها لنا توفيق الحكيم نفسه فى كتابه « وثائق من كواليس الادباء » ، فيقول :

« كل ذلك وطه حسين ساكت متربص ، وفى ذات يوم بادرنى صديقى المرحوم الدكتور « حلمى بهجت بدوى » ، وكان يومئذ من اعضاء هيئة التدريس بكلية الحقوق ، بقوله : ان الدكتور طه حسين الذى كان يزامله فى مجلس ادارة الكلية ( كانت الآداب والحقوق آنذاك يجمعهما مجلس ادارة واحد ) قال له : ساكتب عن صديقك وسيكون لى معه حساب عسير !

فقلت لحلمى : ارجوك ابعد عنى هذا الرجل .. الكتاب الآن قد كتب عنه بما فيه الكفاية ، والمطبوع من الكتاب قد نفذ .

ولكنه لم يتمكن من صرف طه حسين من الكتابة . واذا بمجلة « الرسالة » التى كان يحرر فيها طه حسين باب نقد الكتب نظهر فى

منتصف شهر مايو وفيها مقال متحمس عن كتابين معاً . الكتاب الأول : رواية باللغة الفرنسية لاديبة لبنانية اسـمها « ايمى خـير » بعنوان « سلمى وقريتها » ، والكتاب الثانى باللغة العربية وهو « أهل الكهف » واستهل مقاله بقوله : انه يتمنى للكتاب الأول أن يترجم الى العربية ، والثانى الى الفرنسية ، ثم كتب يقول :

أما قصة « أهل الكهف » فحادث ذو خطر لا أقـول فى الأدب العربى العصرى وحده بل اقول فى الادب العربى كله ، وأقول هذا فى غير تحفظ ولا احتياط ، واقول هذا مغتبطا به ، مبتهجا له ، وأى محب للأدب العربى يغتبط ويبتهج حين يستطيع أن يقول وهو واثق بما يقول أن فناً جديداً قد نشأ فيه ، واضيف اليه ، وأن بابا جديدا قد فتح للكتاب ( يقصد باب التمثيلية الادبية ) وأصبحوا قادرين ان يلجوه وينتهوا منه الى آماد بعيدة رفيعة ما كنـا نقـدر انهم يستطيعون أن يفكروا فيها الآن » .

أما الحساب العسير الذى وعد به طـه ، الحكيم ، فكان عبارة عن غلطة نحوية ، قال عنها الحكيم : لعلها كانت مطبعية !

★ ★ ★

وكان من الطبيعى أن يغتبط توفيق الحكيم بهذا الاطـراء وذلـك التقريظ ، شاكراً لطـه حسين أنه وثق له شهادة ميلاده كأديب فى دنيا الأدباء ، الا أن الحكيم فاجأ طـه بانكار الفضـل الذى نسـبه اليه كمؤسس للتمثيلية الأدبية ، واختلف معه حول أن يكون هو صـاحب الفضل فى فتح هذا الباب فى الأدب العربى كله ، وعاد بالفضل فى ذلك الى اديب ادباء العربية الكبير « الجاحظ » .

يقول الحكيم (*) : « وجدت عنده كلاما كالحوار التمثيلى ، لم ار مثله حتى فى كتاب « الأغانى » من حيث الشكل والتصوير العاطفى ، وقـد بدا لى وتتذاك — اوائل الثلاثينيات — أن انقل هذا الحوار على شكل « منظر صغير » جعلت عنوانه « الفراق » ولم امسه بأى تغيير فى الألفاظ والمعانى والشخصيات حتى يبقى الفضـل « للجاحـظ » وللأدب

(★) حديث الثلاثاء - الاهرام ١٩٨٥/١/٢٢ .

العربى .. وفى الحق انه حوار يذكر بحوار أديب فرنسى رشيق جاء بعد « الجاحظ » بعدة قرون هو « الفريد دى موسيه » فى كوميدياته وأمثاله ..

وعناصر كل نوع من أنواع الأدب والفكر موجودة فيما يبدو لى عند العرب من قديم .. فلماذا لا نستخرج هذه العناصر ونصنفها ونبوبها ؟ لماذا لا نضع مثلا كل حوار من هذا الطراز فى الشكل التمثيلى على قدر المستطاع كما حاولت فى هذه القطعة ، ونجمع ذلك على انه نمـــاذج تمثيلية من تراثنا فى الأدب العربى ، أو على الأقل باعتبار هذا العمل اعادة الشباب الى الأدب القديم بالباسه حلة جديدة دون اى تغيير فى اللب والجوهر والشخصية ، محافظة على ذلك الأدب القديم .. اذا صح هذا فان مجال العمل فى تراثنا الأدبى متسع ولن تفرغ منه أجيال قادمة .. اذا اتجه اهتمام الجامعات الى هذا فى مرحلة الدكتوراة بدلا من الاتجاه الى موضوعات عصرية متصلة بأشخاص أحياء فيما يشبه ريبورتاجات الصحف ، مما فصل حاضرنا عن ماضينا .. واصبحـــت آدابنا المعاصرة كالأبناء اللقيطة ليس لها نسب متصل .

واليكم حـــوار الجاحظ :

## الفـــــراق

« المنظر : باب دار كبيرة ، تقف خلف هذا الباب جارية حسناء كأنهـــا قضيب يتثنى ، وهى والهة حيرى واقفة فى الدهليز .. ويقترب من الباب شيخ ، يراها ويسلم عليها فترد السلام ، بلسان منكسر وقلب حزين .

● الشيخ : يا سيدتى ! انى شيخ غريب اصابنى عطش ، فأمرى لى بشربة من ماء تؤجرى .

ـــ الجارية : اليك عنى يا شيخ ، فانى مشغولة عن سقى الماء وادخار الأجر .

● الشيخ : يا سيدتى لأية علة ؟

ـ الجارية : لأنى عاشقة من لا ينصفنى ، واريد من لا يريدنى .

● الشيخ : يا سيدتى ، هل على بسيط الأرض من تريدينه ولا يريدك ؟!

ـ الجارية : انه لعمرى على ذلك الفضل الذى ركب فيه من الجمال والدلال .

● الشيخ : يا سيدتى ، فما وقوفك فى الدهليز ؟

ـ الجارية : هو طريقه .. وهذا أوان اجتيازه .

● الشيخ : يا سيدتى ، هل اجتمعتما فى خلوة فى وقت من الأوقات ، أم حب مستحدث ؟

ـ الجارية : ( تسيل دموعها على خديها كطل على ورد وتنشد :
وكنا كغصنى بانة وسط روضة

نشم جنا اللذات فى عيشة رغد

فأفرد هذا الغصن من ذاك قاطع

فيامن رأى فرداً يحن الى فرد

● الشيخ : يا هذه ، ما بلغ من عشقك هذا الفتى ؟

ـ الجارية : ارى الشمس على حائطه أحسن منها على حائط غيره ، وربما اراه بغتة فابهت وتهرب الروح من جسدى ، وأبقى الأسبوع والأسبوعين بغير عقل .

● الشيخ : عزيز على ، وانت على ما بك من الضنى ، وشغل القلب بالهوى ، وانحلال الجسم ، وضعف القوى ، ما ارى بك من صفاء اللون ورقة البشرة .. فكيف لو لم يكن بك من الهوى شىء ؟ اراك كنت مفتتنة فى ارض البصرة .

ـ الجارية : كنت والله يا شيخ قبل محبتى لهذا الغلام تحفة الدلال والجمال والكمال ، ولقد فتنت جميع ملوك البصرة وفتننى هذا الغلام .

● الشيخ : يا هذه .. وما الذى فرق بينكما ؟

ـ الجارية : نوائب الدهر وأوابد الحدثان ، ولحديثى وحديثه شأن الشأن .. وانبئك امرى : انى كنت اقتصدت فى بعض ايام النيروز ، فأمرت فزين لى وله مجلس بأنواع الفرش واوانى الذهب ، ونضدتا الرياحين والشقائق والمنثور وانواع البهار .. وكنت دعوت لحبيبى عدة من مستظرفات البصرة فيهن من الجوارى جارية « شهران » ، وكان شراؤها من مدينة عمان ، ثمانمائة ألف درهم ، وكانت الجارية قد ولعت بى ، وكانت أول من اجابت الدعوة وجاءتنى منهن ، فلما حصلت عندي رمت بنفسها على تقضعنى عضا وقرصا .. فبينما نحن كذلك اذ دخل على حبيبى ، فلما نظر الينا اشماز لذلك وصرف عنى وعنها صدوف المهرة العربية اذا سمعت صلاصل اللجم ، وعض على أنامله وولى خارجاً ، فأنا يا شيخ منذ ثلاث سنين اسل سخيمته، واستعطفه فلا ينظر الى بعين ، ولا يكتب الى بحرف ، ولا يكلم لى رسولا .

● الشيخ : يا هذه .. افمن العرب هو أم من العجم ؟

ـ الجارية : هو من جلة ملوك البصرة .

● الشيخ : من أولاد نيابها أم من أولاد تجارها ؟

ـ الجارية : من عظيم ملوكها .

● الشيخ : أشيخ هو أم شاب ؟

ـ الجارية : انك لأحمق .. اقول هو مثل القمر فى ليلة البدر ، أمرد اجرد وطرة رقعاء كحنك الغراب ، تعلوه شقرة فى بياض ، عطر

اللباس ، ضارب بالسيف طاعن بالرمح ، لاعب بالنرد والشطرنج، ضارب بالعود والطنبور ، يغن وينقر على أعدل وزن ، لا يعيبه شيء سوى انحرافه عنى ، لا نقصاً لى منه بل حقداً لما رآنى عليه .

● الشيخ : يا هذه .. وكيف صبرك عليه ؟

ـ الجارية حالى معه كحال القائل :

أما النهار فمستهام واله
وجفون عينى ساجفات تدمع
والليل قد أرعى النجوم مفكراً
حتى الصباح ومقلتى لا تهجع
كيف اصطبارى عن غزال شادن
فى لحظة عينية سهام تصرع

● الشيخ : يا سيدتى ، ما اسمه وأين يكون ؟

ـ الجارية : تصنع به ماذا ؟

● الشيخ : اجهد فى لقائه واتعرف الفضل بينكما فى الحال .

ـ الجارية : على شريطة : تلقانا اذا لقيته ، وتحمل لنا اليه رقعة .

● الشيخ : لا اكره ذلك .

ـ الجارية : هو ضمرة بن المغيرة بن المهلب بن أبى صفـــرة ، يكنى بأبى شجاع ، وقصره فى المربد الاعلى ، وهو اشهر من ان يخفى .. « تنادى » : يا جوارى دواة وقرطاساً .

● الشيخ : يا سيدتى وجب حقك على .. ولزمتك حرمتى لطـــول وقوفى عليك ، وكنت قد سألت شربة ماء .

ـ الجارية : استغفر الله .. ما فهمنا عنك . « تصيح فى الدار » : اخرجوا الينا شراباً من ماء وغير ماء .. ( تقبل وصيفتان تحملان الدواة والقرطاس فتشمر « الجارية » عن ساعدين كانهما طومارا فضة ثم تحمل القلم وتكتب الرقعة .. ثم تقبل ثلاثون وصيفة بأيديهن الكؤوس والجامات والأقداح مملوءة ماء وثلجا وفقاعا وشرابا .. ( فيشرب الشيخ ) .

● الشيخ : يا سيدتى .. مع قدرتك علي هذا من استواء الحال وكثرة الخدم والعبيد والجوارى ، فلم لا تأمرين احدى الجوارى أن تقف مراعية للغلام حتى اذا مر أعلمتك فتخرجين اليه .

ـ الجارية : لا تغلط يا شيخ !

ويفهم الشيخ مرادها ، ويطرق خجلا من هفوته .

وينتهى المنظر .

★ ★ ★

ويقول توفيق الحكيم انه كان فى مقدوره أن يجعل منه فصلا كبيراً ، ولكنه قصد قصداً أن يبقيه على اصله وبلغته كما صدر عن الجاحظ .

وعندما عرف طـه حسين رأى الحكيم ، ورفضه أن يكون هـو صاحب فضل فى الحوار التمثيلى ، وانما الفضل كل الفضل للجاحظ ، سخر طـه حسين منه وقال له :

« أتزعم ان « الجاحظ »
عرف التمثيل وحواره » !!

★ ★ ★

وظل الحكيم على رأيه الى أن مات ، وهو مقتنع اشد الاقتناع بأن تراثنا العربى غنى وعظيم والحمد لله .

اما طـه حسين فظل هو الآخر على قناعته بأن توفيق الحكيم هو صاحب الفضل الأول فى ميلاد فن الأدب التمثيلى فى الأدب العربى كله ،

واعاد على مسامعه هذا الرأى وهو يستقبله فى مجمع اللغة العربية سنة ١٩٥٤ حين قال (*) :

« لأول مرة اذن ظهر بيننا كاتب يحاول ان ينشىء فن التمثيل باللغة العربية ، لا يترجم ولا يقلد فيه ، ولا يتكلف فيه ما كان يتكلف الكتاب الذين كانوا يحاولون أن ينتجوا فى التمثيل ، وانما يقبل عليه كانه خلق له منذ خلق ، ويتصرف فيه كانما خلق ليتصرف فيه . وليكون كاتبا ممثلا لا يظهر التكلف فى حرف من حروف هذه القصة ، وانما هى تاتى يسيرة سهلة كانما اوحيت اليك ( مخاطبا الحكيم ) او كانما الهمتها الهاما ، وكأنما ارغمت على ان تكتب فكتبت ، وكانما كنت اداة تتلقى وتنتج . وتؤدى ما تتلقى فتحسن الأداء ، وكأن معنى هذا كله أنك كنت كاتبا ممثلا مطبوعا . فقصة اهل الكهف هذه التى نقرؤها فلا نكاد نمضى فيها حتى يأخذنا الاعجاب ، ثم يأخذنا الامتاع ثم نشغل بها عن غيرها ، ثم نشغل بها عن كاتبها ، ثم لا نشغل بها عن غير كاتبها بشىء غيرها حتى نفرغ منها .

( ......... ) انت كاتب نابه ، بل انت كاتب نابغه ما فى ذلك شك ، قد اجتمع الناس على اكبار فنك ، واجتمع على اكبار فنك النقاد منهم وغير النقاد ، واجتمع على اكبار فنك الذين يلتمسون الظهر فى الساعة الرابعة عشرة من النقاد مثلى ( ....... ) وقد اجتمع العرب كلهم على اكبار فنك والاعجاب به ، وقد تجاوزت — لا أقول — حدود وطنك — بل حدود العالم العربى » .

★ ★ ★

ولم يقف الخلاف بين طـه حسين ، وتوفيق الحكيم حول حدود من يكون له الفضل فى انشاء فن الأدب التمثيلى فى اللغة العربية ، بل تعداه الى سوء فهم بسبب وشاية صديق للحكيم جاءه مبادراً بسؤاله سؤالا استنكاريا :

هل قرأت مقال طـه حسين عن كتابك ؟!

(★) جلسة المجمع فى ١٧ مايو .

ولم يتح هذا الواشى للحكيم أن يجيب أو يتحدث فى الأمر ، وبادر يقول : ان طـه حسين خبيث وان بين سطوره سمو ما خفية .

ولما كان الجو حاراً والأعصاب متوترة ، فقد اثار هـذا الواشى انفعال الحكيم ، وأمسك فى الحال بالقلم وارسل الى طـه حسـين خطابا فظاً ما كاد يقرأ عليه حتى صاح فيمن حوله :

سبحان الله .. لقد نشرت مقالا عن الكتاب الذى صـدر لتوفيق الحكيم ليس فيه غير الاعجاب فرد على يشتمنى !!

وصارت قطيعة مؤقتة بين طـه والحكيم ، وعاد الحكيم لقراءة مقال طـه حسين مرة أخرى فى هدوء فلم يجد فيه ما يستحـق غير الشكر .

ويندم الحكيم على عجلته فى ظلم طـه حسين متسائلا مستنكراً :

كيف استطاع أذن هذا الصديق — رحمة الله عليه — أن يغـير شعورى ويثيرنى ضده !!

★ ★ ★

اذن فقد كانت « أهل الكهف » سببا فى تعارف طـه والحكيم رغم ما شاب هذا التعارف من خلاف فى الرأى ، وصل احيانا الى سوء فهم من الحكيم نحو طـه حسين ، ولكننا لم نعرف حتى الآن كيف تعـارف الأديبان الكبيران على المستوى الشخصى ؟

توفيق الحكيم أشار الى صداقته لطـه حسين فى سيرته الذاتيـة « سجن العمر » ، أما طـه حسين فقد تساءل : ولكنى لا أدرى لماذا لم يبين كيف صرنا الى الصداقـة ؟

وما دام الحكيم لم يشأ ان يذكر كيف صارا الى الصداقة ، فان طـه لم يجد مبرراً لكى يجيب عما لم يجب عنه صاحبه .

ورغم أن توفيق الحكيم قد نشر رسائل طـــه حسـين اليه أكثر من مرة الا أنه لم يشر الى رسائله اليه وما تحتويه من اجابات على كثير من الأسئلة ، وسنلمح ذلك حين يشير الى رد فعله على ثناء طـــه حسين على قصة « أهل الكهف » من الناحية الشخصية حين يقول :

أعجبني مقاله وشكرته في نفسي » !

غير أنه بجانب هذا الشكر الخفي الذى يدل على بخل الحـــكيم المشهور عنه ، سنجد شكراً مكتوباً يدل على كرم الحكيم بخلاف المشهور عنه ، أو هكذا حاول أن يشاع عنه ليتخذ صورة غير صورته ، وليلبس طبعا غير طبعه مما اكتشفه طـــه حسين كصديق للحكيم حين ارســـل الأخير اليه برقية شكر من « دمنهور » حيث كان لا يزال يعمل وكيـــلا للنيابة هناك ، معربا عن تحيته وشكره على مقال العميد عن « اهـــل الكهف » ، وليس بين ايدينا نص هذه الرسالة الأولى ، ولكن لدينـــا نص رسالة اخرى تدل عليها ، وليس بينها وبين مقال طـــه حسين في الاشادة بـ « أهل الكهف » وصاحبها سوى ثلاثة عشر يوماً ، وسوف تكشف لنا هذه الرسالة عن امتنان عميق من الحكيم لطـــه حسين حين يخاطبه بقوله :

« استاذنا العزيز »

وحين يبدى حرجه من كثرة رسائله اليه خشية « أن يكون في هذه الرسائل أنفاق لوقتك أكثر مما ينبغى » .

وحين يؤكد الحكيم لطـــه استحالة ان يكتب او يفكر في شيء دون ان يعرضه على طـــه لأن « في هذا أيضاً فائدة لي كبيرة » . وسنكتشف أيضا في هذه الرسالة أنه كان بين الحكيم وطـــه موعد للقاء بينهما ، ولنترك سطور الرسالة تشى بمكنوناتها في الدلالة على ميلاد صداقـــة عميقة بين العميد والحكيم .

يقول نص الرســـالة :

دمنهور في ٢٨ مايو ١٩٣٣

استاذنا العزيز

انى مضطر ان أبعث اليك بهذه الرسالة ايضا وانا أخشى ان يكون فى هذه الرسائل انفاق لوقتك اكثر مما ينبغى لكنى كنت يوم الجمعة الماضى فى الاسكندرية بجوار البحر وحيداً فتقدمت « بريسكا » (*) تحدثنى هذا الحديث المرسول اليك لترى رايك فيه . وان من المستحيل على الآن ان اكتب شيئاً او ان افكر فى شىء دون ان اعرضه عليك . أن فى هذا راحة لى كبيرة . وان فى هذا ايضا فائدة لى كبيرة .

وحديث « بريسكا » جرأ الآخرين فيما يظهر . فانى ارى « مشلينيا » يريد كذلك ان يفضى الى بأشياء . و « مرنوش » و « الراعى » حتى الكلب « قطمير » . افاسترسل معهم فى أحاديث متتابعة . أم ان هذا عمل طويل ولا نتيجة له ؟ سنتكلم فى هذا عند المقابلة . ولقد ظهر نظام العطلة القضائية لصيف هذا العام فكانت من نصيبى اجازة تبدأ فى اول يونيو وتنتهى فى ١٠ يوليو . اربعون يوماً اريد ان اكتب فيها شيئاً فضلا عن المطالعة . واريد ان امضيها فى الاسكندرية وفى القاهرة ماذا اكتب ؟ مسالة سنتكلم فيها كذلك ان شاء الله .

وارجو ان يقبل الدكتور اطيب تحيتى وعميق احترامى .

توفيق الحكيم

★ ★ ★

وفى نفس السنة التى أصدر فيها توفيق الحكيم « أهل الكهف » التى طافت بشهرته للآفاق اصدر رائعته الأخرى « عودة الروح » ١٩٣٣ التى استقبل بها توفيق الحكيم فى المجمع اللغوى ، ونستطيع ان نعرف رأى طه حسين فيها من خلال كلمته حيث يقول مخاطبا الحكيم :

---

(★) من شخصيات أهل الكهف وما يليها كذلك من شخصيات .

« ولم تكد قصة « أهل الكهف » تظهرك للقراء فى مصر حتى أظهرتك قصة أخر غير تمثيلية ولكنها أقرب الى التمثيل منها الى القصص ، وهى « عودة الروح » . فأنت فى « عــودة الروح » تقص ، ولكنك تمثل على رغمك . فالأشخاص احيانا يذهبــون ويجيئون وحياتهم ماثلة أمامنا لا نتحدث عنهــا ، أولا ينبغى ان نتحدث عنها بالفعل الماضى ، وإنما ينبغى أن نتحدث عنها بالفعل المضارع كما ينبغى ان نتحدث عن أشخاص القصة ، وأن يعملوا وأن يقولوا وإن يأتوا ما يأتون من الحركات التى يأتيها أشخاص القصة التمثيلية . فأنت فى قصصك ممثل أكثر منك قاصا .

وكانت « عودة الروح » هذه هى التى حببتك الى عامة القراء، والى عامة القراء الذين يقربون من الشعب ، ولا يسمــون الى ارستقراطية التفكير ، ذلك لأنك اقتطعت هذه القصة من حياة الشعب اقتطاعاً .

صورت الحياه المصرية كما يحياها الأوساط من المصريين ، وكما يحياها الفقراء من المصريين ايضاً ، وصورت هذه الحياة المصرية فى كثير من الحب والشغف بها والفناء فيها ، كأنما كنت تصور نفسك ، لان كل المصريين الذين صورتهم فى هذه القصة يتصلون بك من قريب أو بعيد .

ولست فى حقيقة الأمر الا واحداً من هؤلاء الأشخاص الذين تراهم يتحركون ويذهبون ويجيئون فى قصتك بكثرة ، ثم صورت الحياة المصرية فى وقت دقيق من اوقاتهم حين كان المصريون ثائرين بالانجليز ، طامحين الى الحرية ، عامدين الى أخذ استقلالهم من هؤلاء الانجليز عنوة ، ماضين فى جهادهم لا يلوون على شىء ولا يصدهم هــذا عن شىء . يرسلون ابناءهم الى حيث يطالبون بهذا الاستقلال خارج مصر . منهم من يتكلف فى ذلك ما فرض عليه من سجن ونفى ، ومنهم من ينضم الى هؤلاء الذين سجنوا ونفوا ليصاحبهم فى الجهاد ، وليحتمل معهم اثقاله.

والشعب المصرى من وراء هؤلاء جاد كادح . وليس لهذا الشعب قوة ولاثبات الا ايمانه بنفسه ، وثقته بمستقبله ، واكباره لماضيه ، دون أن يحقق هذا الماضى ودون أن يذكره ذكراً صريحاً ، كما انه لا يعرفه

هذا المستقبل ، ولكنه يؤمن بماض مجيد ، يجهله ولا يكاد يحققــه .
وكذلك كان الشعب المصرى حين صورته فى هذه القصة .

والشهد لقد صورته فأحسنت تعريفه ، فهو شعب يجهل نفسه ، وهو على جهله بنفسه يقدر نفسه ، يعرفها فى ضميره الخفى ، ويجهلها فى ضميره الشعورى . كما يقول استاذنا الرئيس لطفى السيد .

وقد صورت الشعب المصرى تصويراً حسنا .. حين انطلقت بهذا — فى قصصك — ذلك الاثرى .. الخ الذى كان يجادل فيه ذلك المفتش الانجليزى :

شعب غنى قوى ولكنه يجهل ثروته ويجهل قوته ويجهل نفسه .

والأحداث هى التى تكشف عن حقائقه وتبين له دخيلة أمره ، فاذا هى دخيلة خصبة تبعث الأمل وتحيى الرجــاء .

( ....... ) وانا اعرف انك فى « عودة الروح » قد اصطنعــت لغتين .

اصطنعت لغة عربية فصيحة تحتاج مع ذلك الى شىء من التحرير ؛ واصطنعت لغة علمية طبيعية ، ولكنك آثرت نفسك باللغه الفصحى ، فكنت اذا تكلمت أنت افصحت ، واذا اردت اشخاصك على ان يتكلموا ارسلتهم على سجيتهم فتكلموا فى لغتهم العامية كلاماً عذباً حلواً . وكنت فى هذا ملائما لما ينبغى أن يكون عليه الحال حين يريد الكاتب أن يصور حقائق الشعب كما يجب أن تكون ، أو كمــاهى فى واقع الأمر .

ولك فى هذا خصوم ، كما أن لك فى هذا زملاء . فزميلنا « تيمور » قد صنع نفس هذا الصنيع فى اول أمره ثم اعرض عنه الى اللغة الفصحى الخالصة ، ثم عاد الى اللغتين جميعا ، واصطنع الفصحى لنفســه ، واصطنع العامية للشعب .

وما أرى انك قد بعدت عن هذا المذهب . فانت تصطنع العامية احيانا اخرى ، وليس عليك من هذا بأس ، فما ينبغى ان يطالب الفنان بأكثر مما يستطيع لن يعطى ، فالحرية هى الأصل الأول للفن » .



وسنجد اشارة الى « عودة الروح » فى رسالة من توفيق الحكيم الى طـــه حسين ، بل ان الحكيم يستشير طـــه فى امر يتعلق برسالة بعث بها اليه مستشرق انجليزى « يبحث فى كل ما يتصل بالبيئات الشعبية » بل ان الحكيم يبعث برسالة هذا المستشرق ، ملحقة برسالته الى طـــه حتى يرى طـــه فيها رأيه ، ويفصح الحكيم عن السبب الذى يجعـــله يستشير « الدكتور الكبير » كما يقول عنه ، حين يتحـــدث عن « اثر الدكتور فى حياته الأدبية » ، وهو ما يراه مبيحاً له ان يطلب رايه .

وسنستدل على حرص توفيق الحكيم على اشراك طـــه حسين فيما يتعلق بشئونه الأدبية الخاصة حين نرى ان الحكيم بعد ان ينهى رسالته الى طـــه حسين ، ويوقعها باسم « المخلص توفيق الحكيم » ، يضيف الى خطابه خطابا آخر يتعلق بمشكلة عرضت « لأهل الكهف » وحقوقه كمؤلف عنها ، مؤكداً « لن أبرم شيئاً كذلك فى أمر « اهل الكهف » بدون راى الدكتور » .

والآن علينا أن نقرا الرسالة لنتعرف على ما تحتويه من دلالات ، وسنلحظ فى البداية أن توفيق الحكيم لا يزال يقيم خارج القاهرة ، ومن ثم سنرى نظرته لطـــه حسين نظرة كاتب مـــن الأقـــاليم الى كـــاتب يسيطر على أضواء القاهرة ، فلا يزال طـــه حسين هو « الكبير » ، ولا يزال الحكيم يؤكد له ويطلب منه ان يثق بما يحمله له من « حـــب واخلاص واكبار » ، وسنلاحظ ايضا أن توفيق الحكيم قد وقـــع عـــلى الرسالة ثلاث مرات ، ويبدو أنه بعد كل توقيع كان يتذكر شيئا لم يذكره فيكتبه .

وهذا هو نص رسالة الحكيم الى طه حسين :

دمنهور فى ١٩٣٣/١٠/٢٨

عزيزى الدكتور الكبير

ابعث طى هذا رسالة من مستشرق انجليزى اسمه مستر نويل باربر اعرف أنه يبحث فى كل ما يتصل بالبيئات الشعبية والأغانى والأناشيد والمسرح المحلى فى الشرق الأدنى . وانه أقام فى تونس ومراكش زمناً من أجل هذا الغرض ثم جاء مصر ومكث فيها عامين ثم نزح الى فلسطين وهو يقيم بها الآن الى أن يغادرها يوما الى العراق والشام . ولقد سبق أن بعث الى شاب اديب ( امين حسونة ) فى أول الصيف الماضى خطابا يطلب الى فيه نسخة من « عودة الروح » لهذا المستشرق ففعلت .

انى لم ارد بعد على المستر باربر بنعم او بلا ، قبل أن اعرض الأمر على الدكتور . أن اثر الدكتور العظيم فى حياتى الادبية يبيح لى ان اطلب رأيه بل اشراكه بالفعل فيما تدعو اليه هذه الحياة الأدبية من تصرفات .

أرجو الدكتور أن يبلغ المدام عميق احترامى وأن يثق بما احمله له فى نفسى دائما من حب واخلاص واكبار .

المخلص

توفيق الحكيم

سأعمل كل ما فى وسعى للحضور الى القاهرة فى آخر هذا الأسبوع ان شاء الله .

توفيق

مشكلة اخرى اعرضها على الدكتور : جاءنى الآن كتاب من لجنة التأليف والطباعة والنشر ردا على استعلامى عن حقوق التأليف الخاصة بأهل الكهف مضمونه أنه بمجرد قيام اللجنة بطبع ٢٠٠٠ نسخة يصبح لها الحق فى اعادة الطبع بدون رغبتى فى اى وقت كما يصبح لها الحق فى الاستيلاء على جزء من حقوق المؤلف اذا ترجم الكتاب او مثل على مسرح ما او اقتبس موضوعه للسينما او الاذاعة .

هذه الحقوق التى تترتب للجنة لمجرد طبعها الكتاب باللغة العربية معناها انى قد نزلت عن حقوق التاليف فى مصر وفى غير مصر الى ما شاء الله . مع ان اللجنة لم تشتر حق التاليف .

ان قانون اللجنة اللجنة فيما أرى كقانون الحماية الايجليزية لا قاعدة له من قواعد الحق والانصاف . ان رايبى الآن هو أن أقوم انا نفسى بطبع هذا الكتاب كما فعلت أولا . أو أن أبيع حق الطبعة الأولى فقط اى حق طبع الفى نسخة فقط لناشر من الناشرين الذين طلبوا هذا الطلب .

انى على أى حال لن ابرم شيئاً كذلك فى أمر أهل الكهف بدون رأى الدكتور .

المخلص

توفيق

★ ★ ★

ولكن مجريات العلاقة بين طــه والحكيم سترينا ان اشارة الحكيم الى طبعة ثانية بعد الطبعة الأولى ، ستوجد مشكلة بينهما سنتعرض لها فى حينها بعد ان نتعرف على مضمون رسالة المستشرق الانجليزى التى أشار اليها الحكيم فى رسالته وحرص على أن يرسلها الى طــه ليرى رايه فيها .

يقول المستشرق الانجليزى :

بيت لحــــم

فلسطين ٢٢ اكتوبر ١٩٣٣

عزيزى توفيق الحكيم

عندما شكرتك على كرمك فى ارسال الجزئين من « عودة الروح » قبل العطلة ، لم اكن قد قراتها بعد . الآن وبعد ان اتممت دراستهما ، اشعر أنه من الواجب على ان اكرر شكرى مرة اخرى ؛ وان اهنئك من كل قلبى لنجاحك للمرة الثانية فى خلال عام واحد ، من تحقيق تقدم جديد فى تقدم الأدب المصرى المعاصر .

انى لاجد أن الجزئين يستدعيان الاعجاب المطلق لأنهما يرسمان لوحة للحياة المصرية المعاصرة .

فاذا لم تكن قد اتفقت بعد مع مترجم آخر ، فانى تحت أمرك فيما يخص ترجمة عملك هذا الى اللغة الانجليزية ، ومستعد ان امر على مصر بعد اتمامى لها ( حيث أنى اقيم حاليا فى فلسطين ) لاستشيرك فى الصعوبات القليلة التى قد اقابلها فى تفسير بعض الكلمات والجمل . وانى لواثق أن الكتاب سيلقى استقبالا جيداً من قبل النقاد ، ولكن يصعب تحديد مدى نجاح اى عمل مترجم ، وخصوصا اذا كان عملا لكاتب جديد ، أو التأكد من انه سيحظى بحجم مبيعات مرضى من قبل الجمهور .

اما بالنسبة للشروط ، فسوف أقوم بالبحث عن ناشر يقوم بدفع الحقوق المعتادة .. الخ .

ويمكننا تقسيم الأرباح ان وجدت ، او يمكنك أن تطرح اقتراحا آخر ان احببت .

صديقنا حسونة يعرفنى جيدا ، ويمكنك أن تستفسر عنى منه .

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام .

نيفيل باربور

★ ★ ★

بعد ان اتضح عزم توفيق الحكيم على اصدار طبعة ثانية لأهل الكهف ، ابدى طه حسين رغبته فى كتابة مقدمة لها ، لتحدث بسبب هذه الرغبة مشكلة جديدة بين الطرفين .

يرى توفيق الحكيم أن هواية طه حسين هى كتابة المقدمات للكتب التى تصدر ، وخاصة اذا كانت لأصحاب المكانة او الأهمية فى نظره .

فقد كتب مقدمة لديوان « الخليل » للشاعر الكبير خليل مطران ، ولكتاب « المرآة » لعبد العزيز البشرى ، ولكتاب « فجر الاسلام » لأحمد امين ، وغيرهم حتى ممن كانوا أكبر منه سناً واقدم مكانة مثل « خليل مطران » الذى فى سن استاذه لطفى السيد .

اما الحكيم فلم يتحمس لمقدمة يكتبها له طه حسين لانه كما يقول : يكره المقدمات ، وقد ذكر ذلك لصديقه القاضى « طاهر راشد » حتى قبل أن يصدر له كتاب ، فقد أعطى لصديقه هذا مخطوطة « اهل الكهف » فاعجبته وشجع الحكيم على طبعها ونشرها ، وتولى هو عنه القيام بهذه المهمة ، وكانت بينهما مراسلات ( نشرها الحكيم فى « وثائق من كواليس الأدباء » ) ، تعلق بعضها باقتراح هذا الصديق ان يكتب أحد مشاهير الكتاب مقدمة « لاهل الكهف » ، ولكن توفيق الحكيم رفض قائلا :

أما المقدمة فليس عندى ما اقوله سوى ما قلته فى القصة نفسها ، واما أن يقدم للقصة احد كبار الأدباء المشهورين فى مصر كما هو المتبع فهذا ما امقته ، لأنك تعلم اننى رجل مخلص صريح ، وان أولئك الكتاب المشهورين قلما يقراون ما يقدمون له من كتب ، وأن عملى ان هو الا عمل يمثل شبيبة اليوم الصريحة المخلصة التى تسعى الى العمل المجدى لا الى الشهرة الفارغة ، لذلك تجدنى مصراً على عدم التمحك فى الكتاب المشاهير لاحظى بمقدمة لا تظهر الا نفاق كاتبها وجهله بالقصة التى يكتب عنها » .

وقد ظل موقف توفيق الحكيم من عدم كتابة مقدمات لكتبه أو لكتب غيره موقفا ثابتا لا يتغير ، اللهم الا بعض الاستثناءات النادرة فى سنواته الأخيرة كنوع من المجاملة ، أما قبل ذلك فقد قصده صديقه الشاعر الرقيق « ابراهيم ناجى » فى الثلاثينيات ليكتب له مقدمة ديوانه الأول « من وراء الغمام » ، فاحاله على « أحمد الصاوى محمد » ليكتب عنه فى بابه « ما قل ودل » لتعريف الناس به ، وعندما قصده صديق آخر هو « صلاح ذهنى » لكتابة مقدمة لكتاب ادبى له ، والح فى ذلك الحاحا شديداً كتب يقول له « ان عملك هو الذى يقدمك » . مما جعل

د. عبد الحميد يونس ( أستاذ الأدب الشعبى الراحل ) يعتب عليه قـــائلا :

هل هذه مقدمة تكتبها لمن يريد ان يشق طريقه فى عالم الأدب ؟! .

وهذا الموقف من مسالة المقدمات جعل توفيق الحكيم لا يتحمس فى نفسه عندما عرض عليه طـــه حسين ان يكتب له مقدمة الطبعة الثانية « لأهل الكهف » ، لأنه يكره المقدمات ، ولم يكن طـــه يعرف ذلك عن الحكيم ، ولم يحاول الحكيم ان يوضح له هذا الموقف ، فحدث سوء فهم بين الاديبين كان مقدمة لمشاكل وخصومات اخرى .

وقد ذكر طـــه حسين هذا الموقف فى فصل أدبى نشره فى كتـابه « فصول فى الأدب والنقد » ، فكتب يقول :

« ونتحدث عن « أهل الكهف » وعن طبعة ثانية تذاع بين الناس فأقترح انا ان اقدمها الى الجمهور ، ويظهر الأستاذ واصدقاؤنا الرضا بذلك والابتهاج له ، ثم يلقى الستار ويرفع وقد تمت الطبعة الثانية من « اهل الكهف » وابطات انا بالمقدمة أسبوعين أو نحو أسبوعين فينشر الكتاب بغير مقدمة وبغير ان يتحدث أحد فى ذلك ، فيسؤنى ذلك بعض الشىء » .

لهذا ظن طه حسين ان توفيق الحكيم يسىء معاملته عندما لم يمهله ليكتب له مقدمة الطبعة الثانية من « اهل الكهف » ، وظـــن ان الذى سيكتبها ــ كما صرح للحكيم بعد ذلك ــ هو أستاذ الجيل احمد لطفى السيد ، ولم يعلم بأن هذا ايضا لم يخطر على بال الحكيم باعتباره مبدءاً عاما عنده للجميع .

وتطورت الأمور بعد ذلك بين الأديبين الكبيرين على اثر مناقشات دارت بينهما حول بعض الموضوعات مثل « الخلق » و « النقد » فى اطار حديثهما عن « الشخصية المصرية » ، المطلوب تجليتها وبلـــورتها فى الابداع الأدبى والفنى فى هذه المرحلة من الثلاثينيات التى اتسمت باليقظة الفكرية .

وكان لهذه المناقشات — كما يقول توفيق الحكيم — صدى عميقا فى نفوس القراء والأدباء والمفكرين فى مصر والعالم العربى ، وخاصة عندما استعرض الحكيم شخصية مصر من إعماق تاريخها ، ليس عن طريق الفكر المكتوب فقط بل عن طريق التعبير الفنى المتمثل فى فن النحت والتصوير والعمارة محاولا البحث عن روحها ، متسائلا :

ما بال تماثيل الآدميين عند المصريين مستورة الأجساد ، وعند الأغريق عارية الأجساد ؟

هذه الملاحظة الصغيرة تطوى تحتها الفرق كله ، نعم كل شىء مستتر خفى عند المصريين ، عار جلى عند الاغريق ، كل شىء فى مصر خفى كالروح .

وكل شىء عند الاغريق عار كالمادة .

كل شىء عند المصريين مستقر كالنفس .

وكل شىء عند الاغريق جلى كالمنطق .

فى مصر الروح والنفس .

وفى اليونان المادة والعقل .

نظرة أخرى فى اسلوب النحت تدعم هذا الكلام .

ان المثال المصرى لا يعنيه جمال الجسد ولا جمال الطبيعة من حيث هى شكل ظاهر .

انما تعنيه الفكرة ، انه يستنطق الحجر كلاماً وافكاراً وعقائد . على انه يشعر مع ذلك بالتناسق الداخلى ، يشعر بالقوانين المستترة التى تسيطر على الأشكال ، يشعر بالهندسة غير المنظورة التى تربط كل شىء بكل شىء ، يشعر بالكل فى الجزء ، وبالجزء فى الكل ، وتلك اولى علامات الوعى فى الخلق والبناء ، هذا كله يحسه الفنان المصرى لأن له بصيرة غريزية أو مدربة تنفذ الى ما وراء الأشكال الظاهرة لتحيط بقوانينها المستترة ، فنان عجيب لا يصرفه الجمال الظاهر للأشياء عن الجمال الباطن . انه يريد ان يصور روح الأشكال لا أجسامها ، وما روح الشكل الا القانون العام الأعلى المستتر خلفه .

ان ولع المصريين بالقوانين الخفية ليبلغ حد المرض ، مـــرض الهى . لو ان الآلهة تمرض لكان هذا هو مرضـها : فرط البحث عن القانون !

كل شىء فى مصر الهى » .

وقد دهش كثيرون ومنهم طه حسـين نفسـه من أسلوب التفكير والتناول ، لأن الذى كان معروفا وقتئذ هو أن اغلب الأدباء فى عالمـــنا العربى يعتمدون على الكلمة وحدها فى تناول الأشياء ، دون أن يلمـــوا بطرق التعبير الانسانى الأخرى من فنون وعلوم وفلسفات تستخرج من الفنون التشكيلية والمعمارية . وبدا لهم غريبا هذا النوع من الثقافـــة الشـــاملة .

★ ★ ★

وقد بدا فى أسلوب توفيق الحكيم ما اثار طـــه حسين ، فكتب فى ١٠ يونيو ١٩٣٤ على سبيل المثال فى مجلة « الوادى » مقالا بعنوان ( رد على الدولة ) ، ويقصد بالدولة هنا ، توفيق الحكيم ، لما أبداه من لهجة متعالية فى الحديث عن نفسه ، وعن القضايا التى يتعرض لها ، فهو يبدأ مقاله رداً على طـــه حسين قائلا :

يا دكتور

ويقول له فى معرض حديثه الذى ضمنه افكاره :

لك أن تقره ولك أن تنكره .

ويطرح عليه عدداً من الأسئلة مخاطبا اياه :

أرجو من الدكتور أن يجيب .

وفى ١٧ يونيو ١٩٣٤ يكتب طه حسين مقالا تحت عنوان ( الأديب الحائر ) — قصة تمثيلية — يرسم فيها خطوط هذه القصة التى تسرد تصرف الحكيم معه ، اذ كان يسر طوراً ، ويغضب طوراً آخر ، ويتصنع

السرور مرة اخرى دون ما سبب واضح ، بعباراته العنيفه التى يوجهها فى رسالة الى طه حسين جاء فيها :

( لست احد يخاطبنى بلسان التشجيع فما انا فى حاجة الى ذلك ) ، مضيفاً طــه حسين : ( ان هذه اللهجة لا يملكها غير توفيــق الحكيم الا رئيس الوزراء ) (*) .



وقد ساهم البعض فى توسيع رقعة الخصومة بين الحكيم وطــه ، فعلى سبيل المثال شارك احمد حسن الزيات صاحب مجله الرسالة ، بشكل غير مباشر فى نشر تفاصيل الخلافات بين القطبين الكبيرين على نطاق واسع ، حينما كان ينشر الرسائل والمقالات المتبادلــة بين طــه والحكيم فى مجلة « الرسالة » واسعة الانتشار ، نقلا عن مجلة « الوادى» محدودة الانتشار ، ولكن الزيات لم يكن يقصد بالطبع نشر خلافــات الأديبين رغبة فى نشرها تعميقاً للخصومة ، وانما كان يرى فى هذه المعارك الفكرية والأدبية اثراء للساحة الادبية والثقافية ( بصرف النظر عما يكتنفها من خصومة أو خلافات شخصية ) .

ويرى توفيق الحكيم ان الحساسية عند طــه حسين كانت تضخم له هذه الأشياء وامثالها مما كان يتراكم فى نفسه دون ان يظهره ، الى حــد تصور فيه أن الحكيم يسىء اليه عمداً لدوافع سياسية ، تحت ضغط من وزارة المعارف التى كان على خصومة مع وزيرها ، فى الوقت الذى كان فيه الحكيم مديراً لادارة التحقيقات بالوزارة نفسها ، ورأى الحكيم أن طــه حسين له الحق فى هذا التصور والظن لما كان يلاحظ فى ذلك العهد من تقلب الأدباء السياسى ، ومنهم طه حسين نفسه ، والعقاد ، والمازنى، وغيرهم ممن تنقلوا بين وقت لآخر بين حزب وآخر .

ويرى الحكيم أيضاً أن هذا لا ينقص من قدر هؤلاء الأدباء العظمـــاء ولا من قيمتهم الفكرية ومكانتهم الادبية ، فقد حدث مثل هذابالنسبة للتاريخ

(*) نقلا عن « بروباجندا توفيق الحكيم » للدكتور مصطفى عبد الغنى من نسخة مخطوطة على الالة الكاتبة نشرها بعد ذلك فى مجلة الهلال (٨٥) .

الأدبى العالمى لكتاب عظام من « فولتير » الى « سارتر » ، فالتاريخ الانسانى مملوء بالمتناقضات والمتغيرات ولا يجمد على الأوضاع غير الجماد .

ولذلك حين رأى توفيق الحكيم أن صديقه طه حسين يظن به الظنون، بادر الى مصافاته معلنا « ان اكبر سلطة فى الدولة لا تستطيع أن تفسد الصداقة التى بيننا » قائلا له فى رسالة خاصة :

انه لا دخل لما بيننا من خلافات فى الراى والفكر باى أمور سياسية وانه لم يخطر ببالى مطلقاً حينما لم ادعك تكتب مقدمة « لأهل الكهف » أن ذلك يدخل فى باب الخصومة ، واننى اكن لك وداً وحباً بالغين » .

وقد اكبرت هذا الموقف من توفيق الحكيم ، الأديبة « مى » صاحبة الشهرة الأدبية فى العشرينيات والثلاثينيات ، والتى خفقت قلوب الادباء بحبها ومنهم لطفى السيد ، والعقاد ، وطه حسين نفسه ، فكتبت الى توفيق الحكيم فى ١١ يوليو ١٩٣٤ ، فى رسالة ( نشرها الحكيم ) أشادت فيها بكتابيه ( أهل الكهف ) ، و ( عودة الروح ) ، ثم قالت :

بيد أنى عرفت منك بخصومتك مع صديقنا الدكتور طه حسين وخصوصا بمبادرتك الى مصافاته ، اكثر مما عرفت بكتابيك .

وقد استرعى التفات « الحكيم » فى خطاب « مى » اليه اشارتها المذكورة الى خصومته مع « طه حسين » فى ذلك الوقت ، لأنه كان يرى أن « صداقتنا — كانت — فيما يبدو غير قابلة لخصومة » .

ويعترف على نفسه « ولكن يبدو انى كنت قد جرحت احساس طه حسين يومئذ من حيث لا أقصد » .

ومن ثم بادر توفيق الحكيم الى مصافاته .

* * *

غير اننا لا نكاد نغادر سنة ١٩٣٤ ، حتى يحدث ما يعكر الصفو مرة أخرى ، فقد أصدر توفيق الحكيم مسرحيته « شهرزاد » وكان لابد طه حسين كعادته أن يقول رأيه ، ولم يكن رايه في ( شهرزاد ) كرايه في « أهل الكهف » و « عودة الروح » ، فقد كتب يقول عن « شهرزاد » : أن مؤلفها توفيق الحكيم في حاجة الى مزيد من القراءة الفلسفية » ! مما استفز الحكيم وجعله يرسل خطابا الى طه حسين « يشتمه » فيه ، ويقول : انه قرأ في الفلسفة أكثر مما قرأ طه حسين نفسه ، وانه ليس في حاجة الى نصائحه (*) .

ولم يكن راي طه حسين في بقية مؤلفات الحكيم ، بعد ذلك باحسن حالا من رأيه في « شهرزاد » فقد اعلنه برايه هذا على مشهد من جلسة علنية ( بمجمع اللغة العربية ) حين استقبله سنة ١٩٥٤ ، رغم استقرار صداقتهما بعد ذلك ، فقد قال « طه » مخاطباً « الحكيم » :

ومضيت بعد ذلك فيما مضيت فيه من كتبك التى لا اجد وسيلة الى احصائها ، وأكاد أعتقد أنك لو استأنيت بنفسك شيئا وأنتجت في شيء من الابطاء لأعطيتها آيات تشبه في جودتها وقوتها وبراعتها واستعدادها للبقاء هذين الأثرين : أهل الكهف ، وعودة الروح » .



وكعادة توفيق الحكيم فان الغضب يستفزه ثم لا يلبث أن يعود معترفاً بخطئه في حق طه حسين .

وبين أيدينا رسالة ناقصة من الحكيم الى طه ، لم نعثر سوى على صفحتها الثانية ، وليس فيها تاريخ يدل على زمنها ، وان كان مضمونها يدل على مناسبتها التى لعلها كانت مرتبطة بالخطاب العنيف الذى ارسله الحكيم الى طه ، تعقيبا على تعليقه على « شهرزاد » ، والخطاب مكتوب باللغة الفرنسية ، ويرجح أن الحكيم قد أرسله الى

---

(*) المصدر السابق .

طـه اثناء سفره الى الخارج ، ويكشف مضمون الخطاب ، أو نصفه الذى بين ايدينا عن اعتذار شديد وعجيب ومدهش يصل الى حد أن الحكيم يطلب من طه ان يعفو عنه والا لو ظل غاضباً منه فانه سيتخلى عن الفن وعن كل سيرته الأدبية !

يقول توفيق الحكيم :

... انى إتالم بحق ، بعد التفكير اتضح لى أنى مخطىء ، كان على ، على الأقل أن استشيرك قبل ان انشر كتبى .

ما رايك فى تصرفى ؟

الذى يؤنبنى اكثر هو ما ابديت من لطف فى العفو عنى بكل هذا الكرم .

انك فى الحقيقة فنان عظيم فى أعمالك ، هذا مؤكد . وانا إعترف انى لا اتمتع بمثل هذه الروح ، أنا لست جديراً بالفن ولا بك .

والآن ها هو قرارى :

اذا ظللت غاضباً منى فسأتخلى عن الفن وعن كل سيرتى الأدبية .

المخلص

توفيق الحكيم



ورغم ان شهرزاد كانت سببا لجفوة بين طـه حسين وتوفيق الحكيم الا انها كانت سبباً فى جمعهما على « جبال الألب » فى كتاب مشترك خرج لنا باسم « القصر المسحور » ، مما سوف ياتى الحديث عنه فى حينه ، الا ان « اهل الكهف » تظل درة التاج فى العلاقة بين الاديبين الكبيرين ، اذ لا يزال الحديث عنها موصولا ، بعد أن تحولت من بين صفحات كتاب الى عمل فنى على خشبة المسرح ، وقد حرص طـه حسين على حضور حفل الافتتاح ، وكان له فى « اهل الكهف » حديث آخـر .



( ٢ )

توطدت الصداقة بين طـــه حسين وتوفيق الحكيم على وضعهـــا الوثيق المستقر فى أواخر عام ١٩٣٥ ، بعد أن زالت عنها الغيوم التى تلبدت فى سمائها فى أكثر من مناسبة ، ولكن توفيق الحكيم كان حريصاً على الاحتفاظ بصداقة طـــه حسين كما أخبرتنا بذلك رسائله الخاصة اليه ، وجاء عام ١٩٣٥ ليشهد تأسيس الفرقة القومية برياسة الشاعر «خليل مطران» ، والتى تم افتتاحها بمسرحية « اهل الكهف » لتوفيق الحكيم ، وقد حضر طـــه حسين حفل الافتتاح وتغيب عنه توفيـــق الحكيم صاحب المسرحية ، وله فى ذلك أسبابه التى سنتناولها فى حينها .

ولعله من المفيد أن نقرأ نقداً لعميد الأدب العـــربى لمسرحيـــة لم يشاهدها ولكنه سمعها ، لقد عرض طـــه حسين للظروف السياسية المضطربة ، فى ذلك المقال المجهول (*) . فقد عاد الدستور بعد أن دفع المصريون من دمائهم وأرواحهم الكثير ، وقد شغل الحاضرون حفـــل الافتتاح بحديث السياسة قبل رفع الستار وتعجلهم لصدور الأمر الملكى باعلان الدستور رسميا ، واختلط حديث السياسة ، بحديث المسرحية بين الفصول ، بل ان حديث السياسة كان يشغل بعض الناس أثناء التمثيل وما سيكون عليه الموقف السياسى فى الغد ، مما جعـــل طـــه حسين يتعجب ويقول انه كان من الخير لهم أن يتحدثوا فى أمور السياسة

(*) النص الكامل للمقـــال المنشور فى جريدة الجهاد فى ١٤ ديسمبر ١٩٣٥ يمكن الرجوع اليه فى كتـــاب أوراق مجهولة للدكتور طه حسين ، للمؤلف ــ صدر عن دار المعـــارف .

فى مكان آخر غير المسرح ، ولو كان قد فرغ بالهم لكـان حـظ القصة والفرقة من عنايتهم ورضاهم اعظم حظاً مما حدث ليلة الافتتاح . وزاد من قلة الحظ ان المسئولين عن المسرح قد غاب عنهم شوق النـاس وتعجلهم لمشاهدة التجربة الأولى ، فقد تأخر رفع الستار حتى تقدمت الساعة نحو العاشرة مما أصاب الناس بالضيق والملل ، معبرين عنه تصفيقا بالأيدى وضرباً بالأقدام على الأرض ، وانطلاقا لبعض الأصوات المتبرمة بعد نفاذ الصبر ، حتى ألقى السلام الملكى فهدأ الناس ابتهاجاً بأن التمثيل سيبدأ فوراً ، فاذا بأملهم قد خاب ، وكان عليهم أن ينتظروا وقتاً آخر حتى ينتهى قارىء القرآن الكريم من تلاوة آيات كريمة مـن سورة الكهف ، فغشى الناس خشوع ورضا من بداية الاحتفال بقصة « أهل الكهف » بآيات من نفس السورة التى سميت باسمها واستلهمها المؤلف من موضوعها ، ولكن القارى أطال الترتيل ، فراح قوم يسعلون ، وآخرين يتحركون مما أثار اضطرابا لا يليق بمقام القرآن حـين تتلى آياته ، مما اضطر القارىء الى أن يقطع ترتيله مخافة اشتداد الأمر ، ولكن الأمر لم يقف عند هذا الحد فلم يبدأ التمثيل بل ابتدأت موسيقى طويلة عرضت معها مناظر كانما أريد أن يكون ذلك تمهيداً للتمثيل ، ولكنه تمهيد طال أظهر معه الناس الضيق والضجر بعد ان طال انتظارهم ونفذ صبرهم واصابهم الفتور ، ثم بدأ عرض مسرحيه « أهل الكهف » ، لتبعد بفصلها الأول الفتور عن الناس وتعيد اليهم نشاطهم ، ثم جاء الفصل الثانى ليملك القلوب والعقول ، ومن هنا ــ كما يصف طـه حسين ــ جاء التصفيق فى نهاية هذا الفصل مضاعفاً قويا لافتور فيه .

ولكن الفصل الثالث وقد استقبله الجمهور مشوقاً موفور النشاط شابه شىء من طول الحوار فى بعض المواضع يحسن فى القراءة ولا يحسن فى التمثيل ، كما أن « بريسكا » كانت بحاجة بعض الشىء الى أن تنسى عصرنا الحديث لتعيش فى العصر الذى وقعت به القصة ، كما كـان الممثلون بحاجة هم أيضا الى أن ينتهوا عن الاسراف فى الحماسة ورفع الصوت ، فأدوات الممثل ليست كأدوات الخطيب .

ولما أسدل الستار على هذا الفصل أصبح نجاح القصة والفرقة حقا لا شك فيه .

اما الفصل الرابع فقد تمنى طـــه حسين الا يكون — او حسب تعبيره « ثم عدنا الى الفصل الرابع وليتنا لم نعد ، فقد كان هذا الفصل طويلا وإخشى أن اقول مملا » ، ذلك لان ما يلائم القراءة لايلائم المسرح ، فقد كان فصلا « تفلسف » فيه الأبطال ، ونصح طـــه حسين باختصـــار هذا الفصل لكى يلائم المسرح او « الملعب » حسب تعبيره .

اما خلاصة رأى طـــه حسين الذى كان اول نقد عربى لأول عرض مسرحى عربى ، فانه « مهما يكن من شيء فان من الحق أن نهنيء الفرقة بما ظفرت به من فوز أمس ، وان نؤكد انها قد إبتدات احسن ابتداء ، وان كل شيء يدعو الى أن ننتظر منها احياء التمثيل العربى كاحسن مما نحب أن يكون » .

وقد هنأ طـــه حسين ، مدير الفرقة خليل مطران ، فهو « أشجع من ان يحتاج الى تشجيع ، وابرع من أن يحتاج الى تقريظ ، وان جهوده أعظم من ان يهنأ صاحبها بما قدر لها من توفيق » .

ثم انتقـــد طـــــه حســــين « جمهـــور النظـــارة » ولا ســيمـــا اصحـــاب المنصـــب والجـــاه منهـــم والذين يستبيحـــون لأنفســـهم ما لا يستبيحه غيرهم من الناس مخالفين آداب المسرح بما يقتضيه من الصمت والاصغاء ، فما بالك بالقاء الجمل التى لا ينبغى ان تلقى الى درجة ان طه حسين نفسه يقول « وقد سمعت أمس من هذه الجمـــل ما استحى ان اسطره ، وان لم يستح أصحابه من ان يقولوه » .

★ ★ ★

اما عن موقع توفيق الحكيم من نقد طـــه حسين لمسرحيته فقد ظهر وهو يثنى على الفصل الثالث حين يقول « ولم يكد يلقى الستار على هذا الفصل حتى كان نجاح القصة والفرقة حقاً لا شك فيه ، وحتى لم أتردد فى اعلان أسفى لأن الأستاذ توفيق الحكيم لم يكن حاضرا ، ولم يقدم الى هذا الجمهور المبتهج السعيد ليأخذ بحظه من الرضى والسعادة. ولكن أنبئت أنه قد آثر الفرار من هذه الموقعة التى كانت بينه وبين جمهور النظارة ، فانتصر غائبا » .

لقد لاذ توفيق الحكيم نفسه بكهفه الخاص فراراً من مسرحيته « اهل الكهف » ليلة الافتتاح ، اما لماذا كان فرار الحكيم ، ولماذا كان انتصاره ، فان العودة الى حال المسرح قبل توفيق الحكيم سوف تقدم لنا اجابة السؤال الاخيرة ، ثم نحاول بعد ذلك ان نجيب على السؤال الاول .

اوليس من الأفضل أن نترك توفيق الحكيم نفسه يجيبنا من خلال « سجن العمر » الذى عاش بين جدرانه ؟

انه يقول « اذ ما كدت أعود من فرنسا حتى وجدت أوضاع مصر السياسية فى تطورها السريع ، وما نتج عنه من برلمانات واحزاب تنفق الأموال بغير حساب على السنة حالها من الصحف والكتاب ، قد رفعت من شان الصحافة وكتابها ، فى الوقت الذى تدهور فيه المسرح وكتابه ..عدت فلم اجد جوقة عكاشة .. لقد افلست واختفت .. ومسرح رمسيس آخذ فى الترنح والاحتضار .. واسماء : محمد مسعود ، وعباس علام ، ولطفى جمعه ، وابراهيم رمزى ، وغيرهم .. قد انطفأت بانطفاء اضواء المسرح .. ولمعت أسماء جديدة مع التماع نجم الصحافة .. برزت أسماء طـه حسين وهيكل والعقاد والمازنى ( .......... ) — و — استطاعوا ان يتابعوا تجديدهم فى النقد والشعر والأدب .. فى حين ان كتاب المسرح قد انتهوا بانتهائه .. وقد فجعت حقاً بما حدث للمسرح فى الوقت الذى عدت فيه حاملا فى جعبتى محصولا غزيراً لمختلف ثقافاته .. وخطر لى أن ابحث عن صديقى القديم مصـطفى ممتاز ، اتنسم منه روائح عهدنا الغابر .. فوجدته قد انصرف انصرافاً تاماً عن الكتابة على الاطلاق ، وقال لى فى نبرة حزن واسى : « المسرح مات » .

وسالته عما يفعل اذن ؟

فقال بهدوء وجد : اشتغل بتحويل النحاس الى ذهب !

وخلته يمزح ، واذا به يؤكد لى ان هذه هى هوايته الآن ، وانه يطالعها فى الكتب القديمة ، وانه غارق لأذنيه فى تلك الكتب ، وقد احاط ببعض ما فيها من عجائب وعلوم واسرار ( .... ) اردت تغيير الجو والعودة بصديقى القديم الى الحديث فى المسرح ، فابديت له الرغبة فى معاودة الكتابة للمسرح بطريقة جديدة واتجاه آخر وتاليف حقيقى بعد

الاطلاع والخبرة والدراسة التى اكتسبتها من الاتصال الثقاف بالفن والأدب فى الخارج .. فقال لى باخلاص وصراحة : اسمع كلامى لا تتعب نفسك ! هذا مجهود ضائع .. المسرح المصرى كمهدنا به قد انتهى ! ..

وقد صدق .. فالمسرح فى مصر وقتئذ كان فعلا قد مات ، ولم أحاول مرة أخرى الحديث مع ذلك الصديق القديم فى أمر المسرح ( ..... ) على أن موت المسرح فى تلك الفترة أمر يدعو حقاً الى التساؤل عن اسبابه .. وما من شك ان تطاحن الاحزاب السياسية كان قد صرف الأذهان عن الفن واهله .. كما أن الأزمة المالية التى اجتاحت العالم عامة ومصر خاصة حوالى عام ١٩٣٠ — ولعل هذا أهم سبب — قد أثرت فيما أثرت على المسرح » .

★ ★ ★

وعندما زالت اسباب الازمة كان يمكن ان يعود المسرح لما كان عليه قبلها مسرحاً اجنبياً مقتبساً أو قد تم تمصيره ، لولا ان ظهر فى سماء الشرق من يؤسس مسرحاً عربياً يحظى بالتقدير والاحترام والدراسة مما جعل الممثل نفسه يكتسب نفس التقدير والاحترام بعد أن كان يسمى « المشخصاتى » ولا تقبل شهادته فى المحكمة ، فجاء تأسيس المسرح العربى بنصوص ادبية ، بدات « بأهل الكهف » القائمة على قصة مستمدة من وحى القرآن لا من اساطير الغرب وتراجيديا الاغريق كما كان ينتظر من توفيق الحكيم وهو المطلع على الآداب العالمية فى باريس ، صحيح انه قد تأثر بكل ذلك ولكن تأثره بالنبع كان أقوى وابقى .

★ ★ ★

ورغم ان « اهل الكهف » قد عرضت على المسرح وكان من المنتظر ان يحضر توفيق الحكيم ليلة الافتتاح الا انه آثر الهرب والفرار من تلك الموقعة بينه وبين الجمهور لاعتقاده أن « مسرحه » يقرأ ولا يعرض ، احساساً منه بأنه يفشل الفشل الذريع ، ولكن والده قد حضر الافتتاح وعاد ثائراً جداً ضد ابنه توفيق الحكيم متهما اياه بالجمود والكفر قائلا له : كيف وصل بك الأمر بان تفعل ذلك بمقدساتنا ؟!

قال والد الحكيم لابنه ذلك رغم أنه هو نفسه متحرر الفكر ويكاد ينحرف فى مناقشاته الدينية الى « مزالق الكفر » ، وذلك حسب اعتراف الحكيم نفسه فى « سجن العمر » وحين ينبه والده فانه يفرق له بين الايمان المستقر فى القلب وبين « شطحات التفكير التى هى شىء آخر »» وهذه الثنائية المختلفة بين القلب والفكر ، هى مما ورثه الحكيم عن والده حتى نهاية حياته ، وان كانت النزعة الروحية لم تفارق أعماله بدرجة أو باخرى ، ولعل مسالة القلب المؤمن ، والعقل المفكر ، وما قد يصل بصاحبه الى نوع من الشطحات ، ليست مسالة قاصرة على الحكيم فقط بل يشاركه فيها طـه حسين ايضاً ، والعقـاد ، بـل وكـل المفكرين ، وان كان ذلك بدرجات متفاوتة لا يمكن تحديدها .

★ ★ ★

اما توفيق الحكيم فقد شاهد مسرحيته « اهل الكهف » فى الليلة الرابعة ، ونتركه يعلق بنفسه ويصف مشاعره من خلال رسالة منشورة (*) له الى مدير الفرقة القومية يقول فيها :

عزيزى الأستاذ خليل بك مطران

أحب ان أثبت كتابة تهنئتى اياك بهذا الفوز المبين . لقد شاهدت رواية الافتتاح فى ليلتها الرابعة وتبينت أن الأمر اجل من ان يكون أمر قصة وفرقة انما هو أمر اقرار مذهب من مذاهب التمثيل لم يكن مالوفاً فى مصر والشرق العربى . فقد كان المعروف لجمهورنا من قبل أن المسارح تؤم للمتعة الرخيصة الزائلة ، لا للمتعة العقلية الباقية . حتى قصص شكسبير وامثالها ما كانوا يشاهدونها لذاتها ولحوارها بل لما ادخل عليها من غناء والحان . أو لما جاء فيها من مواقف مثيرة تهز أعصابهم دون أن ينال حوارها الأدبى من اذهانهم منالا . الى ان أمسك بالزمام امام الصناعتين ، وكانما اراد القدر أن يقيمه امام صناعة ثالثة فبين للناس موقعة حاسمة : أن التمثيل ان هو الا فصل مجيد من كتاب الأدب العالى . نعم لقد كانت موقعة لا بينى أنا وبين الجمهور كما قال صديقنا الدكتور طـه حسين . ولكنها بينك أنت وبين المذهب السابق البائد للتمثيل ، وقد كان لك النصر ، وبانتصارك أنتصر الفن الحقيقى .

(*) فى جريدة الجهاد .

فاهنئك مرة اخرى ، وأهنىء معاونيك ، ومحققى فكرتك البارعين ، مخرجى وممثلى الفرقة القومية الزاهرة .

والســـــلام

القاهرة فى ١٧ ديسمبر سنة ١٩٣٥

المخلص

توفيق الحكيم

★ ★ ★

ولكن ما هو الفرق بين « حكيمنا » مؤسس مسرحنـــا العـــربى ، « وشكسبيرهم » ؟

فى مداعبة طريفة يجيب طـــه حسين ، وهو يعقد مقارنة بين مسرح الحكيم ، ومسرح شكسبير ، بعد حضوره لعرضين متتالين لكل منهما :

يقول طـــه حسين (*) :

وفوز آخر عظيم ادركته الفرقة القومية للتمثيل فيما تمثل من قصص شكسبير ، بعد ذلك الفوز الذى ادركته فى الأسبوع الماضى حين مثلت قصة أهل الكهف . ولكن فوز هذا الأسبوع أصرح واجلى وابهر من فوز الأسبوع الماضى . لأن ملهم الممثلين ومنطقهم ومحركهم هو شكسبير ، وما اظن ان ذلك يغضب الأستاذ توفيق الحكيم فليس على انبه النابهين وانبغ النابغين واكتب الكتاب باس ان يتقدم عليه شكسبير . والحق ان قصة أهل الكهف على ما فيها من جمال وروعة واستحقاق للبقاء وللبقاء الطويل ، لم تكن قد انشئت للملعب ، فحسب الممثلين فخراً وفوزاً أنهم قد حملوا الملعب على قبولها واجروها امام النظارة على ذلك النحـــو الجميل الموفق الذى وصفته للقراء يوم السبت الماضى .

---

(★) النص الكامل للمقـال فى كتاب المؤلف « أحاديث مجهولة لطه حسين » ــ دار المعـارف .

فأما قصص شكسبير فقد انشىء للتمثيل بل هو التمثيل نفسه ، سواء أجراه الممثلون فى الملعب أم خلا اليه القارىء فى الكتاب » .

ولم يختلف توفيق الحكيم مع طـه حسين حول هذا الراى ، فالحكيم مقتنع منذ مسرحيته الأولى « أهل الكهف » بأن مسرحه للقراءة لا للعرض، ومع ذلك فان مسرح الحكيم يظل قابلا للعرض .

وقبل أن نترك « أهل الكهف » علينا ان نقفز بعد ذلك بسنوات حتى نصل الى عام ١٩٤٠ ، حين ترجمت هذه المسرحية ونشرت بالفرنسية علم ١٩٤٠ ، ليتم بعد ذلك عرضها هناك ، وهو ما يتحدث عنه توفيق الحكيم بسعادة وسرور فى رسالة له الى طـه حسين كتبها اليه من باريس دون ان يؤرخ للسنة التى كتبت فيها ، وهى رسالة على كل حال تدلنا على حرص توفيق الحكيم على أن يتابع نشاطه ، لطـه حسين ، ويطلعه على ما يخصه اولا بأول فى رسائل مجمله يترك تفصيلاتها ليحكيها له حين يلتقيان ، يقول الحكيم فى رسالته :

باريس فى ٣ يونيو

صديقى الجليل

تحياتى من باريس ، فقد وصلت اليها منذ يومين ، بعد أن شاهدت اهل الكهف تمثل فى اطار رائع . والحديث عن ذلك يطول وسأحتفظ به للقاء . ونحن الآن فى باريس . وهى المدينة التى يسمونها مدينة النور . وهى اليوم ولا شك مدينة النار ، التى تذوب فيها تلال الذهب . وانا ليس معى من الذهب غير فرنكات من الورق ، تطير من يدى ولا تنتظر حتى تذوب . لا اظن انى سأصمد فى باريس حتى آخر الشهر. سأحاول على كل حال .

اما بعد فانى ارجو ان تكونوا جميعا فى خير حال وان تبلغوا السيدة الكريمة اصدق تحيتى واحترامى ، وأن يقدرنى الله على الثبات فى باريس حتى ألتاكم فيها وانعم باللقاء .

وتفضلوا بقبول اخلص تحيات المخلص دائما .

توفيق الحكيم



ولم يقف الأمر عند حدود الاتصالات الشخصية ، بل تعداه الى اخبار الحكيم لطـه بمشروعاته القادمة مثل كتابه عن « محمد » الذى بدات فكرته عندما طلب منه صاحب مجلة « الرسالة » د. أحمد حسن الزيات ان يكتب مقالة عن « السيرة » سنة ١٩٣٤ بمناسبة اصدار عدد خاص عن « الهجرة » ، فكتب الحكيم فصلا عن « محمد الرسول البشر » ، عكف بعدها على كتابة فصول اخرى ضمنها كتابه « محمد » المنشور سنة ١٩٣٦ ، ويقوم شكله الفنى على الحوار من خلال الأحاديث النبوية الصحيحة منسوبة لرواتها طبقا لكتب السيرة المعتمدة عند ائمة المفسرين، دون تدخل من الحكيم ، سوى قصده الذى أراده من كتابه وهو أن ينبه المغالين المسرفين فى وصف النبى بما يخرجه عن بشريته التى اكد عليها القرآن ، الى أن مثل ذلك هو خروج على جوهر الدين والاسلام الحقيقى.

ويبدو أن توفيق الحكيم قد أخبر طـه حسين بعزمه على تاليف كتاب عن الرسول ﷺ ، فأرسل اليه يستفسر منه عن الزاوية التى سيطرقها فى كتابه ، فارسل اليه الحكيم رسالة باللغة الفرنسية على منزله بالزمالك ، ولا ندرى لماذا استعمل الفرنسية فى خطابه ، ولا ندرى كذلك لماذا كان يستعملها فى بعض الأحيان اللهم الا اذا كان المقصد هو التدليل على قدرتهما على التفاهم باكثر من لغة ، غير أن المثير للدهشة هو أن يفسر توفيق الحكيم لطـه حسين طبيعة كتابه عن « محمد » بخطاب بالفرنسية ، ولا يوقعه باسمه بل بحروف من اسمه ، هكذا :
(T.E L.H.)

تقول سطور الخطاب :

صديقى العزيز

كتابى لا يستدعى سوى مناقشة سيرة النبى - ﷺ - وأنا لا اتدخل فيه الا نادراً لتجنب تمويه حقيقة الشخصية التاريخية ، وهو عمل « سيناريو » ادبى اذا أمكن تسميته هكذا .

المخلص

توفيق الحكيم

١٩٣٦/٢/٧

# في ضيافة شهرزاد

«... أردنا اللهو بها، ولكن من خلال
تبادلنا الرسائل، اكتشفنا أن «شهرزاد»
هي التي سخرت مني ومن طه حسين..»

توفيق الحكيم



بلغت قمة الصداقة بين طــه حسين وتوفيق الحكيم قمتها عــلى جبال الالب بفرنسا حيث اجتمعا سوياً للاصطياف سنة ١٩٣٦ فى القرية الصغيرة « سالانش » احــدى قرى جبال الألب الفرنسيــة ، والتى تتوزع فيها عدة فنادق متوسطة الحال ، نزل فى احداها طــه حسين فى شهر يوليو ١٩٣٦ ، ليلحق به توفيق الحكيم الذى كان قد ارســل خطابا لطــه يخبره فيه بأنه فى الطريق اليه ، وهذا يوضح لنا أن طــه حسين كان كالحكيم ايضاً يخبر صديقه بتحركاته ويترك له عنــاوين الاماكن التى ينزل فيها ، وما ان وصــلت رســالة الحكيم حتى حجز له طه حسين مكانا فى الفندق الذى يقيم فيه ،واعد له ما أراد من متطلبات صيد السمك التى يهواها .

ورغم أن توفيق الحكيم خبير بباريس وجنباتها الا أن طــه حسين قد عرفه على مكان جديد لم يقربه من قبل ، وهو الجبــل . والتقى الصديقان فكيف كان حالهما عند لقائهما ؟

★ ★ ★

حين وصل توفيق الحكيم كان موعد الغداء قد اقترب ، وكان طــه حسين قد غادر غرفة سكرتيره التى يقضى فيها ما شاء من الوقت من أجل القراءة أو الاملاء .

اما توفيق الحكيم فقد حمل بين يديه ما استطاع من صحف وكتب ، ومنذ وصوله وهو لا يصمت عن الحديث فى كل شىء واى شىء ، ولم يشغله تناول طعام الغداء عن مواصلة حديثه عن : الجبل ، والمناخ ، وقراءاته فى الصحف والكتب ، وأخبار النشـــاط الادبى فى مصر ، وفى امكانية ترجمة كتابه عن « شهرزاد » وتجسيدها تمثيلا على خشبـــة المسرح ، حتى اذا انتهى الغداء ، صار الحكيم مشغولا بالاعداد للصيد وهى هواية أراد ان يعوض بها فشله فى السباحة بعد ان كرهها بسبب ابيه عندما اراد يوما ان يعلمه العوم فى الاسكندرية ذات صيف ، فلم يفعل غير أن جذبه من يده الى حيث يسبح هو فى الأعماق دفعة واحدة، فكان الطفل توفيق يتحسس القاع بقدمه الصغيرة فلا يجده فيرتـــاع ارتياعا شديدا ، وكان كلما جاءت موجة يشعر كانها تقتلعه اقتلاعـــاً لتقذف به بعيداً عن والده ، فجاء العنف الذى أراد ان يعلمه به والده العوم ، ليضع بينه وبين البحر سداً منيعاً ، فلم يعرف البحر الا وحشاً ينتزعه موجه بعنف الى القاع العميق وهو يتجلد ويكتم صياحه حتى لا ينتهره ابيه ، كل ما فعله الطفل توفيق الحكيم آنذاك هو انه اقسم فى قرارة نفسه انها آخر مرة ، وانه اذا خرج سالماً فلن يضع قدميه فى ماء بحر أبداً ، وخرج وبر بهذا القسم ولم يعد بينه وبين البحر من صلة سوى محاولات للصيد .

يقول الحكيم على لسان « شهرزاد » فى « القصر المسحور » :

انى اعرف هذا الصنف من الرجال ، انه لن يصطاد سمكـــة فى حياته ، ولا احسب انه يذهب يوما الى بحيرة او نهر او بحر ، انما هو يخلق فى راسه كل هذه الرغبات ، ويعد للوصول اليهـــا المعدات ، ويغمر نفسه فى ذلك الجو الذى ابتدعه خياله ، حتى اذا كان على بعد خطوة من التنفيذ والحقيقة ، انهار حلمه ولم يعـــد يعنيه من الأمر شىء .

اما طـــه حسين فيصف فى « القصر المسحور » أيضا ، توفيـــق الحكيم الذى راى الجبل لاول مرة ، والثلج الأبيض الذى يغطيـــه لأول مرة ، فيقول انه « لم يخطر له قط أن الجبل الأبيض شىء يرى ، فلمـــا رآه كاد يخرج عن طوره لولا أن تمالك واصطنع الوقار وهو يقسم لنـــا

جهد ايمانه ليصمدن فيه وليبلغن قمته ، فاذا صعبنا ذلك قال فى براءة الصبى النقى : ماذا ؟ اليس يكفى أن أعدو اليه مع الصبح واعود منه حين ينتصف النهار فأدرك معكم الغداء ؟! » .

وتقول « شهرزاد » لطـــه حسين :

أهو من السذاجة بحيث تصف لى ، فان كتابه يصوره معقداً أشد التعقيد .

فيقول طـــه حسين « لشهرزاد » : ستجـــدين عنده السذاجـــة المريحة حين تحتاجين الى الراحة ، والتعقيد المضنى حين تحتاحين الى الجد والتفكير » .

ومن مجموع هذه المداعبات المتبادلة بين طـــه والحكيم اكتملت فصول كتابهما المشترك « القصر المسحور » الذى كانت فيه « شهرزاد » هى البطل الذى جمعهما ، فقد مات « شهريار » جليسها وانيسها ، فصارت تبحث عن انيس وجليس ، وكلا من طـــه والحكيم يحاول الفوز بها دون الآخر ، عن طريق كيد كلا منهما للآخر عند « شهرزاد » ، وينتهز طـــه حسين الفرصة ليوجه نقده للحكيم على لسان « شهرزاد » على كتابـــه عن « شهرزاد » الذى قامت بسببه مشكلة عكرت صفو الصداقة بين الأديبين الكبيرين بسبب عدم رضاء « طـــه حسين » عن « شهرزاد » الحكيم ، وانتقده بسببها نقداً لاذعا ، أما فى « القصر المسحور » فقد كان معه رقيقا .

لقد فرقتهما « شهرزاد » حيناً ، وجمعتهما حيناً آخر ، ووضع كل منهما كتابا خاصاً عنها .

طـــه حسين كتب « أحلام شهرزاد » .

توفيق الحكيم وضع مسرحيته « شهرزاد » .

ثم اشتركا معاً فى كتاب عنها اسمه « القصر المسحور » .

ومن العجيب كما رصـــدت د. سهير القلماوى (*) — تلميذة طـــه حسين — أن الأديبين العربيين قد تأثرا بشهرزاد الغربية لا العربية ،

(*) فى كتابها : ذكرى طه حسين ـ اقرأ ـ دار المعـارف .

بعد أن انتهت قصتها الخرافية أو أسطورتها ، لا شهرزاد العربية التى تقبل على الفداء ، فداء بنات جنسها ، ومعاناتها ، التجربة الموحية بكل عجيب من الصراع بين الأمل واليأس ، والخوف والاطمئنان ، والحب والكره ، وتأثر توفيق الحكيم وطـه حسين بشهرزاد الغربية تأثراً واضحاً يعترفان به ، ويذكره طـه حسين فى « القصر المسحور » ، كما يذكره توفيـق الحكيم فى « زهرة العمر » .

ان السؤال : من انت وما حقيقتك الذى يردده الحكيم ويكرره من بعده طـه حسين ( متأثراً به برغم أن المسرحية لم تعجبه ) لا علاقة لـه « بشهريار » الذى روت خبره « الف ليلة وليلة » !



ولم يكن طـه حسين وتوفيق الحكيم وحدهما فوق جبال الألب ، فقد كان معهما برسائله الشاعر « مطران خليل مطران » المسئول عن الفرقة القومية التى افتتحت نشاطها بمسرحية « اهل الكهف » لتوفيق الحكيم ، وبلغ طموحه أن يفتتح الموسم المسرحى الجديد بمسرحية من تاليف طـه حسين الذى كان مقدراً له اشد التقدير ومعجباً بأدبه اعجابا شديداً ، ولم يك يخفى هذا التقدير وهذا الاعجاب سواء فى خطاباته الى طـه حسين أو حين يقابله ، فقد كانت بينهما صداقة خاصة ، يحمل فيها كلا الطرفين للآخر مشاعر من المودة والاخلاص تلمسها فى هذه القصيدة التى كتبها « خليل مطران » المعروف بـ « شاعر القطرين ( مصر والشام ) ، اعجاباً بقصة « دعـاء الكروان » التى كتبها طـه حسين ، وعندما وصلته القصيدة علق عليها من املائه قائلا :

« اتيح لهذه القصة ان تبلغ من نفس شاعرنا العظيم خليل مطران موضع الرضى فأهدى الى هذه القصيدة الرائعة فضلا منه اتقبله فخوراً شكوراً . واكره ان أوثر به نفسى من دون الذين يحبون الشعر الرفيع ، بل اكره أن يحملنى التواضع الكاذب على اخفاء هذه المـكرمة التى ان صورت شيئا فانما تصور نفساً كريمة وقلباً عطوفاً » .

وتدل كلمات طـه حسين على أنه نشر القصيدة ، غير أن نص كلمات طـه حسين ونص القصيدة نفسها يغرينا باستعادتها ، لنستشعر روعتها التى وصفها بها طـه حسين .

يقول نص قصيدة خليل مطران التى لم يبعد بها الزمن عن تاريخ نشر « دعـــاء الكروان » التى قيلت فيها ، وكان ذلك سنة ١٩٣٤ :

دعـــــاء هذا الكـــــروان الذى خلدته فى مسمـــــع الدهـــــر
له صدى فى القلب والفكر مــــن اشهى متاع القـــلب والفكـــر
لكنه مشج بترجيعــــــــــه لما جرى فى ذلك القفـــــــر
اذ تسكن البيداء وهنا فمـــا ينبض الا مهج الســـــــفر
والليل فى التيه السحيق المدى يطبـــق جفنيـــــه عـــلى وزر
والطـــائر المرتـــاع فى جـــوه ينذر بالماســــاة فى ذعـــــر
يرن ارنـــان سهـــام رمـــت حيث رمت بالشعــــل الحمـــــر
أسـال دمعى خطـــب مطلولـــة مقتولة فى زهــــرة العمـــــر
جنى عليهــــا واهـــم انـــه يثـــار للعـــرض وللطهـــــر
وخـــامرتنى حسرة خامـــــرت شهود ذاك المصرع النكـــــر
اليس للأرواح فى بثهــــــــا أواصر مـــن حيث لا نـــدرى
جوهرهـــا فـــرد واحساسهـــا مشتــرك فى النفـــع والضر
حادثة فى ريف مصر جـــــرت ومثلها فى الريف كم يجـــرى
قصت علينا قصصاً شائقـــــاً فى كلم أنقى من القطـــــــر
مسرودة سرداً عـــلى صفـــوة افعل فى النفس من الخمـــــر
باللغـــة العرب التى كاشفت طه بما هــــــانت من السر
مـــن أى روض يجتنى مثل مـــا جنـــاه من ازهـــارك النضر

من أى بحـــر والمنى دره ... يصاد ما صاد من الــــدر
من أى تبر فى غـوالى الحــلى ... يصاغ ما صاغ من التبــــر
آيات طــه نزلت بالهــدى ... استعارت فتنــة السحــر
أحدث ما جاءت به طرفـــة ... بديعـــة فى أدب العــصر
جلت خيال الشعر فى صورة ... أغــارت الشعــــر من النثر

★ ★ ★

ولم يقف الأمر بين عميد الأدب وشاعر القطرين عند حد الرسائــل بل كانا يلتقيان كما تدل على ذلك الرسالة التالية التى يقول فيها خليل مطران :

٣ مارس ٤٧

حضرة صاحب السعادة استاذنا

الأكبر مفخرة العلم والأدب .

الدكتور طـــه حسين بك

عدت من حلوان بعد أسابيع طوال قضيتها مستشفياً وقد خفت عنى العلة ولكنها لم تزل ، واشعر بضعف ما زال شديداً اخشى الا يمكننى من التشرف بزيارتكم يوم الأحد القادم فاعتذر على أسـف شديـد منى ، ولكننى اذا شعرت بتحسن لم أحرم نفسى نقع العلة من شـوقى اليكم ، واعرف أنكم ستغتفرون لى تلك المفاجاة .

ارجو تقديم احترامى الخالص لحضرة السيدة الفاضلة الكاملة عقيلتكم، وتحياتى لنجليكم النجيبين النابغتين ولا افرق بين الذكر والأنثى ذكـاء وثقافة وطهارة أخلاق ، ثم أكرر لأستاذنا الاكبر آيات ودى واجلالى .

المخلص

خليل مطران



★ ★ ★

وبحكم هذه العلاقة الحميمة بين عميد الأدب وشاعر القطرين ، أراد مطران أن يخرج من طه حسين بمفاجأة للمسرح القومى الذى يديره ، فيلح عليه ويكثر فى الالحاح ان يؤلف مسرحية ، وطــه حسين يعتذر لعدم قدرته على الكتابة للمسرح لأنه يتطلب قدرات خاصــة وظروفــاً خاصة لا تتوفر له ، ولكن خليل مطران لا يفقد الأمل ، فيقترح على طــه حسين أن يشترك معه توفيق الحكيم فى تاليف المسرحيــة المنتظــرة ، فلا يجد طــه حسين مفراً من مطران فيعده فى مفاتحة الحكيم فى الأمر ، فقال له :

انه لا يحسن كتابة الحوار التمثيلى ، ولذلك يطلب منه الاشتراك فى تاليف المسرحية التى يريدها « خليل مطران » ، فيتفقان على اللقاء فى هذه القرية الجبلية لاتمام هذا المشروع ، وعندما يذكر توفيق الحكيم ، طــه بما اتفقا عليه ، يجد الحكيم ، طــه مشغولا بمشروعه الخاص عن « المتنبى » ، ولعل ذلك ما جعل اشاعة تصل الى « خليل مطران » عن أن المسرحية التى سيشترك فى تاليفها طــه ، والحكيم ، تدور حول « المتنبى » مما جعل « خليل مطران » يسرع بكتابة رسالة الى توفيق الحكيم يقول فيها :

« أفكر طويلا فيك وفى أستاذنا الجليل الدكتور طــه بك ، واتصوركما جالسين متعاونين فى ابراز قصة المتنبى على ما سمعت فاغبطكما واتمنى لو تسنى لى السفر وكنت كاتب يدكما . انا لنرقب منكما ما نرقــب ، والفن التمثيلى مشوق اشد الشوق الى الفجر الذى ستطلعانه عليه فى اللغة العربية بعد ليله الدامس الطويل فبارك الله فيكما واتاكما الصحة والقوة . وغاية ما ارجوه هو أن يمتد بى اجلى لأكون من اشهاد فوزكما ان لم يتيسر لى أن اكون من خدمته » .

★ ★ ★

ولكن طــه والحكيم كانا مشغولين فى المداعبة التى انتهت الى كتاب «القصر المسحور» ، ورأى الحكيم أن يصرف نظر «مطران» عنهما وعن المسرحية التى لم تكتب ، فطلب اليه أن يرسل اليهما ما كان قد كتبه هو من مسرحية كانا يعلمان أنه شرع فيها ، وهى عن « هارون الرشيد » ولكن « مطران » قال فى رسالته انه غير مستطيع ارسال شىء منها ، فان

ضعف صحته وتقدمه فى السن يجعله لا قبل له حتى بالنظر الى أوراقه القديمــة .

★ ★ ★

اما علاقة طــه حسين بالمسرح فقد ظهرت فى ترجمته لبعض روائع الإغريق ، وفى عضويته للجنة ترقية المسرح ، غير أن معاداة وزيــر الشئون الاجتماعية لطــه حسين بسبب مهاجمته لادارة الدعاية بالوزارة — كما سيأتى تفصيله فيما بعد — جعل الوزير يقوم بتعديل اللجنــة لابعاد طــه حسين عنهــا ، مما جعل طــه حســين يسرع بالاستقالة من كل اللجان التابعة لوزارة الشئون الاجتماعية حتى يكون الأمر بيــده لا بيد عمرو ، كما يقول فى رسالته الى « خليل مطران » والذى كــان سببا فى اثنائه من قبل عن العدول عن تقديم استقالته من لجنة ترقيــة المسرح ، حتى لم يعد هناك بد مما منه بد ، بعد أن اظهر وزير الشئون الاجتماعية نواياه صريحة واضحة لا لبث فيها ولا التواء ، ضــد طــه حسين الذى يقول فى رسالته لخليل مطران :

صديقى العزيز مدير الفرقة القومية لعلك تذكر أنى كنت ملحــاً فى الاستقالة من لجنة ترقية المسرح ولم يمنعنى من ذلك الا الحاحك عــلى فى البقاء والا حرصى على ايثار الذوق فى الا أستقيل فى الوقت الذى دعيت فيه اللجنة الى الاجتماع فى منزل سعادة الرئيس .. وقد تلطف حضرة صاحب المعالى وزير الشئون الاجتماعية فسبق الى ما كنت اريــده ، واعفانى من عضوية هذه اللجنة الموقرة فله على ذلك اجمــل الشــكر واصدقه . وانما أكتب اليك هذا الكتاب لأشكر لك ولحضرات الزملاء حسن رعايتكم لى اثناء عملى معكم ، ثم لأبلغك أن هناك لجنة لعل صاحب المعالى الوزير لم يعرف أنى عضو فيها وهى لجنة القراءة ، وما احب ان اكلفه تعديل هذه اللجنة واعفائى من العمل فيها ، فأرجو أن تبلغه وتبلغ لجنة ترقية المسرح انى مستقيل من لجنة القراءة بيدى هذه المرة لا بيد عمرو .

ولك منى أصــدق التحية
واخــلص الــود .
٧ نوفمبر ١٩٣٩ .



ولم يخرج الى النور مشروع المسرحية التى تمناها خليل مطران من طـه حسين وتوفيق الحكيم ، اللذان انشغلا بشهرزاد وبقصرها المسحور .

وفى شهر اغسطس ١٩٣٦ ذهب طـه حسين وأسرتـه ، ومعهم توفيق الحكيم الى قرية « كبلو » ، ثم ترك الحكيم ، طـه ، ليكمل الأخير بقية « القصر المسحور » ، و « المتنبى » ، مما شغله عن مراسلة توفيق الحكيم ، فراح يعتذر له فى رسالة بعث بها اليه فى ٢٥ أغسطس ١٩٣٦ ، على « سالزبورج » بالنمسا حيث اقام الحكيم هناك بعض الوقت لحضور « المهرجان الموسيقى » المقام هناك حيث كانت تقام حفلات الموسيقار « توسكانينى » ، وتعرض مسرحية « فاوست » « لجوته » ، من اخراج « ماكس راينهارت » ، ذلك بينما كان طـه حسين مشغول بالقراءة والاملاء بشكل متواصل حتى أجهده التعب وأصابه المرض ، حتى اذا عاد اليه شىء من التحسن فى صحته أملى خطابه الى توفيق الحكيم ، الذى قال له فيه :

« فلعلك تعذر هذا الصمت الذى أكرهت عليه اكراهاوانا مرسل اليك بقية « القصر المسحور » وقد وقعت كما ترى فى فصلين ، فاصبح الكتاب كله أن صح ان يسمى هذا كتابا — ستة عشر فصلا » .

ويضيف طـه متسائلا مترددا فى نشر الكتاب « لا أدرى أيستحق هذا الكلام الذى كتبته انا على الاقل أن يطبع ويذاع وانت تعلم انى سيىء الظن جداً بكل ما اكتب ، فكيف بهذا الشىء الذى لم يتعود الناس قراءة مثله ، وهو كما تعلم مزاح كله ، ولا بد لى ان افكر فى طبع هذا الكلام او اذاعته من أن اعيد قراءته كله لأرى ايستطيع ان يقف على قدميه أم يحسن أن يهمل ، وحسبه انه سلانا نحن فى اثناء اقامتنا فى الجبل » .



غير أن طـه حسين بالاتفاق مع توفيق الحكيم قد قرر طبع « القصر المسحور » ونشره على الناس ، حيث صدرت طبعته الأولى فى العام التالى ١٩٣٧ ، ولم يجد طـه حسين باساً بعد ذلك فى ان يهدى

هذا الكتاب لمن يريد اهداءه لهم ، ومنهم كوكب الشرق أم كلثوم ، كما تدل على ذلك رسالتها غير المؤرخة الى طـه حسين والتى تقول فيها :

سيدى الأستاذ الجليل طه بك حسين

حظيت بمؤلفكم « القصر المسحور » الذى تفضلتم باهـدائه الى فاكبرت منكم ذلك العطف الكريم ، ولا شك عندى فى أننى سأجد بين طياته غذاء يضاعف شكرى ويحفظه لكم فى نفسى أجمل الذكريات — ادامكم الله منارا للعلم والأدب .

أم كلثوم

ابراهيم

★ ★ ★

ولم يكن طـه حسين وتوفيق الحكيم وحدهما اللذان تأثـرا « بشهرزاد » ، فالشعراء أيضا تأثروا ومنهم العقاد ، ومن شعراء المسرح الشعرى تأثر كثيرون ومنهم « عزيز اباظة » الذى اختلف معـه طـه حسين حول مسألة عرض القصص التمثيلية شعراً ، وسنتبين ذلك من خلال اهداء عزيز إباظة لمسرحيته الشعرية « شهريار » — الى طـه حسين — والذى يذكر فيه أن طـه حسين كان له بعض الفضل فيها ، فيقول فى اهدائه المطول :

« الى الأستاذ الكبير الدكتور طـه حسين

( وما أريد أن أخفى على صديقى

الأستاذ عزيز اباظة أنى

لست من الكلفين بالقصص

التمثيلية التى تعرض على الناس

شعراً فى هـذه الأيام ،

وشعراً عربيا بنوع خاص )

هذا كلام قلته فى مقدمتك لمسرحيتى « غروب الأندلس » وعـــرفه الناس عنك . ولكننا مع ذلك — زميلى وانا — نقدم لك هذه المسرحية الشعرية « شهريار » هدية مرفوعة . وما نظن أن لك حيلة الا ان تقبلها .

ولعلك تذكر انك منذ سنوات كتبت قصة قصيرة عن « شهرزاد » وأختها « دنيازاد » ، وتفضلت فاهديتها الى . فظللت منذ حظيت بهذا الايثار احاول ان افرغ لمعالجة تلك الأسطورة الرائعة ، ولكن شواغـــل الحياة تتجسم وتترادف فاهمل وأمهل ، ثم وافانى بعد ذلك صديقى الأستاذ « عبد الله البشير » بمسرحيته عن « شهرزاد » كتبها بالانجليزية ليمثلها طلبته بمعهد المعلمين فاحتشدنا لهذا الموضوع على بعض هديك فكانت هذه المسرحية .

فاذا نحن أهديناها اليك . فذلك لأنك الى جانب مكانك السامق فى سماوة الأدب صاحب وحيها وباعث فكرتها .

فانظر كيف تتضافر الأسباب لتجعل حتما من الحتم أن يحمل اليك بعض ما تكره أو على الأقل بعض ما لا تحب .

وكأنى أشهدك الآن يا أستاذى الجليل وانت تضرب كفاً بكف . بل لكأنى أسمعك مخافتاً تتمثل بقول الحارث بن عباد :

لم اكن يوماً من جناتها علم الله      وانى لحرهـــا اليوم صـــال .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

مارس ١٩٥٥

عزيز أباظـــة



ولم تكن « شهرزاد » فى حياة طـــه حسين وتوفيق الحكيم مجـــرد وسيلة عبث ولهو ، بل كانت أداة للتنبيه الى الظلم ، ورمزاً لمقاومة

الظلم ، فى أيام سود لم يكن هناك بد معها من الرمز والتورية ، على لسان « شهرزاد » التى عاشت فى مكان غير المكان ، وزمان غير الزمان، ولكن كلماتها التي انطقها بها طه حسين ، أو توفيق الحكيم ، أو العقاد ، أو من بعدهم عبد الوهاب البياتى ، وغيرهم من الأدباء والشعراء ، هى كلمات تدل على الزمن الحاضر فى المكان الحاضر .

فشهرزاد طه حسين تقول للملك :

« الم يخطر لك ان للشعب حقوقاً يجب أن تؤدى اليه ،
وان اوقات الملوك ليست خالصة لهم من دون الرعية ؟ » .

قال طه حسين هذا الكلام فى « أحلام شهرزاد » فى وقت كان فيه ملك مصر عابثاً لاهياً عن شعبه ، بمغامراته وملذاته .

اما توفيق الحكيم فقد سمع الملك نفسه بكتابه عن « شهرزاد » وكانت مشكلة أراد الحكيم الهروب منها .

يقول توفيق الحكيم (*) :

جاء ذات يوم مدير الأوبرا — كان ايطاليا يعمل مربيا فى القصر — واسمه « كانتونى » ، الى وزارة المعارف ، وكنت مديراً للتحقيقات ، وقال لى :

كنت مع جلالة الملك فاروق ، وسألنى : تعمل ايه يا « كنتونى » ؟

فأجبته : اقرأ الترجمة الفرنسية لمسرحية « شهرزاد » ورأيى أن اضع لها النوتة الموسيقية لكى نقدمها على المسرح .

فقال لى الملك : لم اقرأ هذه المسرحية .

وسمع الحديث « العشماوي بيه » وكيل الوزارة .

---

(*) مجلة الوطن العربى ١٩٨٤/٢/٦ .

فقال : يا خبر .. ده أمر رسمى بتقديم نسخة من « شهرزاد » ومهداة بخط يدك الى صاحب الجلالة .

وتهربت بهذا الجواب : دعنى أولا افتش لك عن نسخة المسرحية .

وقمت الى مكتبى وعثرت على نسخة فجعلت اقلب صفحاتها . وقلت فى نفسى : وهل سيفهم الملك فاروق المحدود الثقافة ما كتبت !

اننى لست من هؤلاء الكتاب الذين يرسلون بنسخ من نتاجهم الى الملوك والرؤساء لمجرد الاهداء ، فلم افعل هذا قط فى حياتى ، وانا اقدر القادة الذين يقرأون ، ولا أهدى كتبى الى أشخاص أعرف سلفاً انهم سيكتفون بركنها لمجرد الزينة فى زوايا المكتبات ، كما أننى لا أهدى أبداً كتاباً بالمراسلة لأشخاص لا اعرفهم .

المهم أن « العشماوى بيه » نسى حكاية « شهرزاد » ، واحيل « الكانتونى » الى المعاش ، ولم أرسل الكتاب الى فاروق .

نعم انى أدعو الأدباء والمفكرين الى النأى عن الحكام فذلك يعطيهم حرية النقد الموضوعى البناء » .

★ ★ ★

أما طـه حسين فقد كان له منهج آخر يرى الاتصال بالملوك والأمراء واهدائه كتبه لهم ، واعلان ولائه لهم ، كما حدث اثناء العصر الملكى .

ويدافع الذين يتبنون وجهة نظر طـه حسين فى هذا الشأن ، بأن ذلك ايضاً كان مقترناً بمناهضة طـه حسين لذلك النظام ، ولا معنى لهذا التناقض — فى رأيهم — الا ان طـه حسين كان يفعل ذلك ذراً للرماد فى العيون ، من اجل ان يحقق للشعب — وهو آمن شر الحكام — مكاسب اكبر فى التعليم والثقافة .



ورغم خدمة الظروف لتوفيق الحكيم فى الالتزام بمبدئه بعدم اهداء كتبه الى الحكام ، ابتعاداً بنفسه عنهم ، ألا أن عزلته هذه لم تكـن انعزالا للفكر عن اى نشاط سياسى او اجتماعى ، أو كما يقول هـو بنفسه فى مذهبه « التعادلية » :

فالعزلة التى دعوت اليها هى العزلة عـن السياسيين لا عن السياسة ، وعن الأحزاب لا عن المجتمع » .

ويتذكر توفيق الحكيم (*) :

نشرت مقالا جعلت فيه الملك فاروق فى صورة « الملـك شهريار » المستهتر وهو غارق فى لهوه وعبثه وجنونه ، فجاءته النصيحة فى صورة « شهرزاد » العاقلة تقول له أن يفيق من مباذله وملذاته ويلتفت الى شعبه ، ويضع فى يده الحرية التى تمكنه من النهوض ومن اصـلاح احواله .. وكلام من هذا القبيل استلفت النظر ، وقابلنى وقتئذ النائب العمومى « محمود بك منصور » فى محل « جروبى » وقال لى : خذ بالك هذا المقال عن « شهريار » ... فلم اجعله يتم وقلت له : ما له ؟ انه عن ملك الف ليلة وليلة . فابتسم ابتسامة ذات معنى وقال : انت فاهم وانا فاهم .. المهم ان تكون حريصاً ، واقولها لك كصديق » .

★ ★ ★

وهكذا كانت « شهرزاد » صديقاً مشتركاً لطـه حسين وتوفيـق الحكيم ، فى الجـد واللعب ، فى السياسة ، والتسلية .

وتمر السنوات ولا ينسى طـه والحكيم ذكرى لقائهما على جبـال الألب ، فطـه حسين يخاطب الحكيم وهو يقدمه للمجمعيين كعارفه بمفاتيح شخصيته بعد أن خبرها وعرفها منذ اقتربا على قمة الجبل ، فيقول له :

أنت أعطيت من نفسك صوُرة أخرى : صورة الرجل الذى لا يحسن أن يتصرف فى الحياة ، لا يستطيع أن يسافر الا ان يعينه على السفـر

(★) حديث مع نفسى ـ الاهرام ١٩/٤/١٩٨٣ .

معين ، ولا يستطيع أن يركب السيارة دون أن يحسب لركوب السيارة الف حساب . فانت تشفق من كل شيء ، وتخاف من أيسر الأشياء ، وتسرع الى الصياح دون أن تحتاج الى أن تصيح ، كان الدنيا من حولك نذر واهوال تريد ان تنوشك من كل قطر من أقطارها وتريد ان تلتهمك التهاماً . وانت تذكر كيف اتعبتنا واتعبت غيرنا من أصدقائك ، وكيف اتعبت نفسك حين اردت أن تأخذ الطائرة لتذهب الى « سالزبورج » لتشهد تمثيل احدى قصصك هناك . كنت مشفقاً من الطائرة قبل أن تركب الطائرة باكثر من شهر . وكنا ننفق من الجهد ما ننفق لنشجعك وتسليك ونغريك ونعطيك من قوة تعينك على أن تركب هذه الطائرة ، ونؤكد لك انك ستركب الطائرة وتعود منها سالماً .

والمدهش انك ركبت الطائرة وذهبت وعدت كما يذهب غيرك ويعود، ولم تكن فى حقيقة الأمر خائفا ولا ملتاعا ، وانما تكلفت كل هذا تكلفا ، ولست أنسى حين دعوتك للقائى على قمة جبل من جبال فرنسا فكتبت الى مرتاعاً ملتاعاً مشفقاً من الهول كل الهول ، وفى الوقت نفسه صورت نفسك صورة الانسان الذى لا يستطيع أن يترك باريس لأنه يحب لونا من الوان الطعام لا يكاد يوجد فى غير باريس . اشفقت ان تصعد الجبل وكرهت أن تنفق أياماً لا تذوق فيها هذا اللون من الطعام .

انت اذن — طائفة من المتناقضات » .

وتمر السنوات ويتذكر توفيق الحكيم ايضا تلك الأيام التى قضاها وطـه حسين على قمة الجبل ، حين يقول فى حديث صحفى (*) قبل وفاته بسنتين :

« كنا نريد اللهو ، وكانت شخصية « شهرزاد » التى طغت على الشخصيات الأدبية فى الأدب العربى ، موضع هذا اللهو .

ان « شهرزاد » تعد اشهر الشهيرات ولا أحد ينكر معرفتها ، لهذا اردنا اللهو بها ، ولكن خلال تبادلنا الرسائل ، اكتشفنا أن « شهرزاد » هى التى سخرت منا ، سخرت منى ومن طـه حسـين ، ومن كـل الأدباء » .

---

(★) مع اقبال فهمي بصحيفة « الحياة الاسبوعية » فى ١٩٨٥/٤/١٣ .

# محنة توفيق الحكيم وطه حسين

«.. للثقافة على أهلها حقوقاً أيسرها التضامن والوفاء، و(....) من الآثام في ذات الثقافة أن يظاهر مثقف على مثقف، أو يعين أديب على أديب.»

طه حسين

( ١ )

بعد عودة توفيق الحكيم من المصيف من فرنسا وجد نفسه منقــولا كمدير لادارة التحقيقات بوزارة المعارف الى ادارة اخرى صورية، تطورت الى « ادارة الدعاية والارشاد » التابعة لوزارة الشئون الاجتماعيــة ، وذلك عقابا لتوفيق الحكيم على تطاوله على زعماء « الديمقراطية المزيفة» آنذاك ، وفيما بين سنتى ١٩٣٨ وسنة ١٩٣٩ التى وقعت فيها هــذه التطورات ، كان لطــه حسين موقف واضح مما مر به صديقه توفيــق الحكيم ، فقد تضامن معه فيما أسماه « محنته » ، ولكنه هاجمه وهاجم وزارته بعنف عندما صار مسئولا عن « الدعاية والارشاد » .

★★★

كانت العادة فى تلك المرحلة من تاريخ مصر فى الثلاثينيات أن تدين كل حكومة جديدة سابقتها وتصمها وتنسب اليها ما امكنها من النقائص، ولعل ذلك سنة لا تزال آثارها مستمرة فى مجتمعاتنا حتى أن كل حكومة تبدأ عملها معلنة انها ورثت تركة ثقيلة وهموما وديونا ، وانها ستعيــد البناء من جديد ، كأن الدنيا لم تبدأ الا منذ تسلمها السلطة ، وأن العمل والتطور لم يبدآن الا معها ، وما سبقها كان جاهلية وتسيبا وعدم تقدير للمسئولية ، وان عهدها هو العهد الذى طال انتظاره ، والذى ستبدا معه بشائر الحرية والديمقراطية والرخاء والنهضة الجديدة التى سيتمتع فيها مواطنوها بالسمن والعسل ، بعد أن كانوا يعيشون فى « المــلح والبصل » ، هكذا تزعم كل حكومة جديدة ، فتلعن سابقتهــا ، وتبدأ من

جديد ، أو تهدم ما بنته الحكومة السالفة ، وهكذا نظل نبدأ من جديد دائما ولا ننتهى الى نتيجة ، فضاعت شخصيتنا ومسخت هويتنا لأن كلا منا ينكر فضل صاحبه ، ويعمل على محو اى انجاز لسابقه ، هكذا ارادوا من توفيق الحكيم كمدير للتحقيقات « بوزارة المعارف » عندما تغيرت الوزارة باخرى جديدة ، وجاء على راس « وزارة المعارف » « نجيب الهلالى » صديق الحكيم ، ففرح هو ووكيل الوزارة « العشماوى بك » ، صديقه هو ايضاً ، الى ان جاء يوم وطلب الوزير الصديق ، توفيق الحكيم وقال له بلهجة الجد(*) : ان مكتب الوزير السابق فى العهد البغيض — كما كانوا يسمونه — كان بؤرة للاعمال المشبوهة . وطلب الوزير من توفيق الحكيم بصفته مديراً للتحقيقات ان يصدر قراره باستبعاد موظفى هذا المكتب وايقاف مديره صديق الوزير السابق باعتباره راس الفساد وان الفساد ظهر من التلاعب بمجانية التعليم التى ذهبت لغير مستحقيها .

وكان رد الحكيم انه كوكيل للنيابة ( سابقا ) لا يمكن له وقف او استبعاد او أى اجراء ضد اى موظف الا بعد تحقيق . فكان رد الوزير عليه بلهجة جادة : حقق وبسرعة !

غير ان توفيق الحكيم نظر للقضية نظرة عادية ، بينما هى عند وزير العهد الجديد غير عادية لأنه متعجل لادانة الوزارة السابقة لتظهر وزارته فى صورة من يحارب الفساد ، واستبطأ الوزير ، توفيق الحكيم الذى اخبره انه لا يزال يجرى تحقيقاته ، فسخر الوزير قائلا بشىء من الشدة : اى تحقيق ؟!

وطلب منه ايقاف مدير مكتب الوزير السابق قبل اى شىء !! واندهش الحكيم من منطق الوزير الذى قبل ان يكون وزيراً كان وكيل نيابة مثله ، فكيف سمح لنفسه أن يدوس على القانون الذى كان مدافعاً عنه ، بعد ان صار وزيراً ؟! ، وشكا الوزير لصديقهما المشترك « عشماوى بك » وكيل الوزارة ، من تهاون الحكيم ، فقد كان الوزير متعجلا ليعرض على مجلس الوزراء فى اجتماعه القادم نتيجة التحقيق الذى يدين الوزارة السابقة .

---

(*) توفيق الحكيم — حديث مع نفسى — الأهرام ، ١٩٨٣/٤/١٢ .

ولما لم يكن الحكيم قد انجز بعد شيئاً مما يراد منه ، فقد سرب الوزير الى الصحف ما خرجت به مانشيتاتها عن قضية المجانية والفساد وتفصيلاته مما لدى توفيق الحكيم من اوراق عن القضية التى لا يزال يحقق فيها ولم تظهر نتيجتها بعد ، وطلب وكيل الوزارة من الحكيم ، العمل على عدم احراج صديقهما الوزير ، ولكن الحكيم مضى فى تحقيقه المعتاد دون أن يعبأ بأمور الصداقة ، مصمماً على ان يكون الحق وتكون الحقيقة هى الصديق الوحيد فى مثل هذا الموقف ، حتى اكتشف الحكيم انه حدث تزوير فى امضاء الوزير السابق على أوراق المجانية ، وتم تحويل القضية الى النيابة لتكتشف أن المتهم الحقيقى للتزوير كان شخصاً من غير موظفى الوزارة ، فتم تقديمه للمحاكمة وحكم عليه بالسجن .

وهكذا ظهرت الحقيقة ، ولكن بعد أن تم تشويه صورة الوزارة السابقة ووزيرها بالباطل لاغراض سياسية .



وكان هذا المشهد وغيره مما دعا توفيق الحكيم الى نقد الأوضاع القائمة والمطالبة بالاصلاح ، فكان مما كتبه فى ذلك الوقت مقالاً فى ٢٠ اكتوبر ١٩٣٨ ، بمجلة « آخر ساعة » ، تحت عنوان « أنا عدو المرأة والنظام البرلمانى لأن طبيعة الاثنين فى الغالب واحدة .. الثرثرة » ، وطالب باستثمار الأموال التى تنفق على البرلمان فى انشاء مصنع تحتشد فيه — بدل جموع الأعيان الموسرين — أفواج العمال المصريين العاطلين مؤكداً اننا بحاجة الى معمل انتاج لا معمل « كلام » يصيح فيه البعض « ويتثاءب » البعض الآخر . ومضى الحكيم فى اقتراحه منادياً بضرورة وجود حكومة قليلة التصريحات ، سريعة العمل ، وهذا يستلزم أن يكون اعضاؤها بدون لون حزبى واضح ، وأن يقل عددها بحيث تقتصر على اصحاب الخبرة فقط ، بل مضى الحكيم الى ابعد من ذلك حينما رشح اسماء الوزراء للحكومة التى اقترحها ، واغضب الحكيم رجال السياسة كلهم بعد أن وصفهم بـ « زعماء الديمقراطية المزيفة » ، وانتظر الجميع من رئيس الحكومة « محمد محمود باشا » الذى هو فى نفس الوقت رئيس حزب « الأحرار الدستوريين » أن يقوم بفصل توفيق الحكيم باعتباره موظفاً فى وزارة من وزاراته ، ولكن تدخل بعض أعضاء الوزارة من الأدباء والمفكرين كالدكتور محمد حسين هيكل باشا والشيخ مصطفى عبد الرازق.

حال دون فصل توفيق الحكيم ، وعملوا على حل الأزمة بوسيلة أخرى وصل التشاور فيها الى الخصم من مرتب الحكيم ، ولم يكن الخصم يبيح للوزير بأكثر من خمسة عشريوما ، فى الوقت الذى قرر فيه الحكيم الاستقالة ، غير أن أصدقاء له نصحوه أن يظل فى موقعه ويتمسك بمواقفه .

★ ★ ★

وسافر الحكيم صيف عام ١٩٣٩ ليعود من مصيفه مع طه حسين ليجدهم قد انشأوا ادارة جديدة انشاء مفتعلا صوريا اسموها « ادارة التمثيل والموسيقى » ، لينقلوا الحكيم اليها بعيداً عن « أدارة التحقيقات» التى أرسل موظفوها مبرقين الى توفيق الحكيم يخبرونه بهذا النقل وهو لم يزل بعد فى مصيفه ، ويطلبون منه الحضور بسرعة ، فعاد ليجد نفسه أمام الأمر الواقع مديراً على الورق لادارة لا اختصاص لها .

وكان ممن وقف بجوار الحكيم ، « حفنى محمود » عضو البرلمان الذى هاجمه الحكيم ، وهو فى نفس الوقت شقيق رئيس الوزراء « محمد محمود باشا » مذكراً « حزب الاحرار الدستوريين » الذى يراسه أخوه بمواقفهم النبيلة من الشيخ على عبد الرازق أثناء أزمته فى كتاب « الاسلام واصول الحكم » ، ومن طه حسين أثناء ازمة كتابه « فى الشعر الجاهلى » ، وكلهم كانوا موظفين كتوفيق الحكيم ، متسائلا عن هذه الديمقراطية التى لم تكن تمارس كمبدأ للجميع ، فكل حزب يطبقها حسب مصالحه الخاصة .

ورغم أن زملاء توفيق الحكيم الأدباء فى الوزارة قد انقذوه من الفصل، الا ان المجتمع الأدبى قد التزم الصمت ، مما جعل الحكيم يشكو فى مجلة « الرسالة » ما أسماه بالاجراءات المهينة التى اتخذت ضده دون أن يجد فى عالم الأدب من يدافع عنه ، فقد خرست كل الجرائد التى طالما رفع صوته على صفحاتها ، مؤكداً « انهم لم يدركوا الخطر الذى يهدد الأدب والأدباء اذا هم شعروا يوماً انهم لا يستطيعون ان يخرجوا ما فى نفوسهم».

واحس توفيق الحكيم بأنه فجع لا فى شخصه ولكن فى مركز الاديب فى الشرق ، وان المكانة الأدبية وهم من الأوهام ، وان الادباء أنفسهم هم المسئولون فى الغالب عن انخفاض شأنهم لخذلان بعضهم البعض .

لقد كانت ازمة حقيقية لتوفيق الحكيم جعلته يترك شقته ويعود ليعيش من جديد شريداً كما يستحق اديب فى الشرق ان يعيش ، حسب تعبيره .

وراح الحكيم يكتب عن الديمقراطية ومستقبلها فى مسرحية « مشكلة الحكم » عام ١٩٣٩ ، وكتب عنها طه حسين فى مجلة « الثقافة » وأشار الى ما اسماه « محنة » توفيق الحكيم التى أوحت بها . غير أن الحكيم راى ان طه حسين واى ناقد او باحث آخر لم يفطن الى ما فيها من تنبؤ او رأى بأن فشل الديمقراطية يؤدى الى الديكتاتورية . واستشهد توفيق الحكيم بمقولة رئيس وزراء فرنسا « فلاندان » الذى صاح يوما قائلا :

ان البرلمان الفرنسى لم يعد له فى فرنسا اعتبار فقد كف عن مراقبة اعمال الحكومة بالمعنى الحقيقى ، انما الحكومة اليوم تحكم ارتكاناً على شبه توكيل من أغلبيتها البرلمانية » .

وقد وجد الحكيم فى هذا القول انطباقا على ما يحدث فى مصر ( الثلاثينيات ) ، فالحصول على اغلبية برلمانية ، تمنح الحكم شبه المطلق .

وهذه هى الديكتاتورية المقنعة فى صورة ديمقراطية .

ودعا توفيق الحكيم الى « العاصفة المباركة » التى تأتى « بالمبادىء الصحيحة السليمة » لتقضى على « الفساد — الذى — جاء من عاصفة جائحة لمبادىء شوهت واسىء فهمها » .

★ ★ ★

وجاء أول سبتمبر من سنة ١٩٣٩ واذا بالحرب العالمية تقوم وتسقط وزارة « محمد محمود باشا » ، وتنشأ وزارة الشئون الاجتماعية وتقسم

الى ادارات تضم اليها أشتات الادارات المشابهة فى الاختصاص والموجودة فى الوزارات الأخرى القديمة ، وكان من بين ادارات وزارة الشئون الاجتماعية ، الجديدة ، ادارة سميت « ادارة الدعاية والارشاد » كان من اختصاصها : المسرح والموسيقى والسينما والاذاعة والموالد ! ونحو ذلك ، وعلى هذا نقلوا توفيق الحكيم فى الحال من « وزارة المعارف » ، الى « وزارة الشئون » ، وبهذه الطريقة تخلصت « وزارة المعارف » من توفيق الحكيم .

ومن العجيب ان وزارة الشئون الاجتماعية كانت هى احدى بنات افكار توفيق الحكيم نفسه ، والتى اقترح انشاءها فى مقاله الذى هاجم فيه الممارسة الخاطئة للحياة الديمقراطية ، فاذا بهذه الوزارة التى اقترحها هى الحل الذى ساقه لهم للتخلص منه ، وهى العقاب له على جراته ، وستكون هذه الوزارة نفسها سببا فى خصام الصديقين طه حسين ، وتوفيق الحكيم ، وستكون وزارة الشئون الاجتماعية ايضاً سبباً فى محاولة عقاب طه حسين نفسه لجراته هو ايضاً ، وهنا نصل الى ازمة طه حسين مع وزارة الشئون ، بل ازمته كذلك مع توفيق الحكيم الذى كان مديراً « لادارة الدعاية والارشاد » فى هذه الوزارة ، فى الوقت الذى هاجم فيه طه حسين هذه الادارة التى على راسها صديقه توفيق الحكيم ، وذلك لأن طه كان ضد الدعاية وضد الاعلان وما ينطويان عليه من خداع وزيف وباطل .

( ٢ )

بين ايدينا مقال املاه طـه حسين ليس له عنوان ولا تاريخ ، ومن المرجح انه نشره ردا غير مباشر على انشاء « ادارة الدعاية والارشاد »، ولاهمية المقال وطرافته وصلاحيته كأنه كتب للوقت الحاضر ( الذى اصبحنا فيه أسرى للدعاية والاعلان ) رغم مرور حوالى ستين عاما عليه ، وجدنا انه من الضرورى أن نستعيد قراءته تدبراً وتفكراً واستمتاعاً .

يقول طـه حسين :

ضربت لسيف الدولة خيمة عظيمة عصفت بها الريح فقوضتها ، وكان الناس قالوا فى ذلك وتشاءموا به ، وسىء به سيف الدولة ، فقال المتنبى ، يعزيه ويسليه ويرد اليه التفاؤل والاستبشار :

| | |
|---|---|
| ايقدح فى الخيمة العذل | وتشمل من دهرها يشمل |
| وتعلو الذى زحل تحته | محال لعمرك ما تسأل |
| فلم لا تلوم الذى لامها | وما فص خاتمه يذبل |
| تضيق بشخصك أرجاؤها | ويركض فى الواحد الجحفل |
| وتقفو ما كنت فى جوفها | ويركز فيها القنا الذبل |
| وكيف تقوم على راحة | كأن البحار لها أنمل |

ثم قال :

رأت لون نـورك فى لونهـا كلون الغـزلة لا يغسـل
وأن لها شرفـاً باذخـاً وأن الخيام بها تخجل
فلا تنكـر لهـا صرعـة فمن فرح النفس ما يقتل .

واكبر الظن ان سيف الدولة قد رضى عن هذا الشعر وهش لقائله ، واكبر الظن أيضا أنه قد أثابه عليه ثوابا حسناً . ولكن الشىء الذى يشك فيه كل الشك هو أن أبا الطيب قد خدع سيف الدولة بهذا الشعر عن الحقيقة الواقعة وهى ان الريح قد عصفت بخيمتـه العظيمـة فقوضتها ، فصرفه عن أن يضيق بالذين أقاموا له هـذه الخيمة فـلم يحسنوا اقامتهـا اما لأنهم لم يثبتوها تثبيتا تمتنـع به على الريح واما لأنهم لم يوجهوها توجيهاً تقاوم به عصف الريح .

وما أشك فى ان ذكاء سيف الدولة كان اعمق وانفذ من أن يتجاوز بهذا الشعر قدره فيصدقه ويطمئن اليه ، بل ما اشـك فى ان المتنبى نفسه لم يخطر له ان يغير رأىّ سيف الدولة فى الذين اقاموا له خيمته او ان يقر فى نفس سيف الدولة أن الخيمة سقطت لأن شخصه اعظم واضخم واعلى من أن تظله الخيام ، ولأن شخصه من نباهة الذكـر وجلالة القدر وارتفاع الشان بحيث لم تكد الخيمة تشعر بانها تهيا له حتى اخذها الدل وملكها التيه فترنحت شيئا ثم خرت صريعا . انما قال المتنبى شعراً ولم يرد اكثر من أن يقول شعراً يعجب صديقه . وسمع سيف الدولة شعراً ولم يزد على ان سمع شعراً راقه واعجبه ، ومضت امور الخيمة والذين اقاموها بعد ذلك على ما كان يجب ان تمضى عليه .

ولكن خياما كثيرة تقام عندنا ثم تعصف بها الريح فتصرعها لأطنابها واسبابها او ترفعها فى الجو وتمضى بها مسافة تقصر أو تطول ثم تهوى بها بعد ذلك فى مكان سحيق ، ويقوم المعزون والمسلون أو المروجون والداعون من الذين اقيمت لهم هذه الخيام مقام « المتنبى » من سيف الدولة فيقولون ما شاء الله لهم ان يقولوا ، ويزوقون ما شاء الله لهم يزوقوا دون ان يبلغوا من ذلك ما بلغ « المتنبى » ، ولكن سـادتهم يسمعون لهم ويطمئنون اليهم ويصدقون ما قالوا ويخدعون بمازوقوا ، ويؤمنون فيما بينهم وبين انفسهم بان خيامهم لم تصرع لأنها اقيمت على

وجه لا تستطيع معه مقاومة الريح ، وانما صرعت لأنهم كانوا أكبر من أن تظلهم الخيام ، ولأن همومهم كانت ابعد من أن تحتويها الخيام .

والظريف أن الذين تقام لهم الخيام والذين يغرونهم عنها حين تصرع يصدقون انفسهم ويخدعون عنها فلا يحتاجون الى ان ينبههم الناس الى انهم يحاولون عبثاً أو يقولون شعراً لأن ايمانهم بانفسهم وثقتهم بعقولهم ورضاهم عن اعمالهم . كل ذلك قد اقر فى قلوبهم انهم أعظم من ان يخطئوا وافطن من ان يكذبوا وأمهر من ان يبلغهم الخداع من قريب او بعيد .

فكرت فى هذا كله عندما نظرت فى آثار هذه الظاهرة الجديدة التى منيت بها الحضارة فى حياتنا الحديثة وهى التى يسمونها « الدعاية » . فلست أعرف خطراً على الحق مهما يكن موضوعه يشبه هذا الخطر المنكر الذى نسميه « الدعاية » . وما رايك فى وسيلة أصبحت غاية ، وفى اداة اصبحت غرضاً ، وفى شىء كان الأصل فيه أن يتخذ سبيلا الى الخير وطريقاً الى الاصلاح فطغى وبغى وعظم شره حتى لم يكفه ان ينحرف عن الجادة وأن ينتهى بالناس الى غير ما كانوا يطلبون منه .

لم يكفه ذلك واذا هو يصبح اصلا من اصول الحياة وركناً من اركانها ، واذا هو يندس فى فروع الحياة كلها فيفسدها ويجعلها شراً وبيلا .

كان الناس فى أول هذا القرن يعجبون بأمر هذه الظاهرة وينخدعون لها . وكان الباحثون عن ظواهر الحياة الاجتماعية يلاحظون تاثيرها العظيم فى امور التجارة ويحاولون تحليلها العلمى وتعليلها الفلسفى ، ولكنها لم تلبث أن تجاوزت التجارة الى غيرها من فروع الحياة ، فلم يقتصر امرها على الترويج لما يباع ويشترى وانما تجاوزت ذلك فأخذت تروج لما يقرأ وما يكتب ، واخذت تروج للآراء السياسية ومذاهب الناس فى الحكم ، وأخذت تروج للحكومات القائمة وللأحزاب المختصة.

وما من شك فى أن هذه الظاهرة قديمة منذ وجدت الجماعة المنظمة ، ولكن ما من شك فى انها قد بلغت فى العصر الحديث طوراً لم نقدر قط انها ستبلغه . والذى بلغ بها هذا الطور : « المطبعة » التى سهلت النشر ،

و « الصحف » التى انتظم ظهورها فى أوقات معينة من العلم او من الشهر او من الأسبوع أو من اليوم فى آخر الأمر ، والتى اخذت تواجه الناس مصبحين وممسين فتلح عليهم بما تريد أن تلح عليهم به ، وتدعوهم الى ما تريد أن تدعوهم اليه . وماذا يصنع الناس وهم يدعون الى هذا الأمر اذا اصبحوا ، ويدعون اليه اذا انتصف النهار ، ويدعون اليه اذا اقبل الليل ، ويدعون اليه حين يخلون الى انفسهم طامعين فى الراحة او راغبين فى الفراغ .

ثم لم يقف الأمر عند الصحف ، وانما نشأت « السينما » ، ونشأ « الراديو » ، والغيت مسافات الزمان والمكان ، وأصبحنا خاضعين للاعلان فيما نقرأ وفيما نسمع وفيما نرى . قد احاط بنا من كل ناحية وسعى الينا من كل وجه ، وسلك الى قلوبنا وعقولنا من كل منفذ . اخذ علينا المذاهب وسد علينا الطرق ، فنحن أسراه لا نخلص منه الا حين نخلص من الحياة . فأى غرابة فى أن ندين له بالطاعة ونؤمن لسلطانه الذى لا يقاوم ، ونستجيب لدعائه الذى لا يرد .

ليست الغرابة فى ذلك وانما الغرابة فى أن نقاومه ونمتنع عليه ونخلص من شره قليلا او كثيراً . وما هى الا ان اصبح الاعلان كما قلت اصلا من اصول الحياة وركنا من أركانها ، لا تجارة ولا زراعة ولا صناعة ولا علم ولا أدب ولا فن بدونه ، بل لا حكم ولا سياسة بدونه . واذا الصحافة تصبح سلطانا ثالثا يضاف الى السلطان التشريعى والسلطان التنفيذى . واذا « الراديو » يريد ان يصبح سلطانا رابعاً يضاف الى هذه الألوان الثلاثة من السلطان . واذا الحضارة كلما تقدمت اضافت قيوداً الى قيود واغلالا الى اغلال حتى تصبح الحرية كلمة لا تدل على معنى ، وغروراً لا يحتوى شيئا ، واذا نحن عبيد نحسب انفسنا سادة ، ومقيدون نظن انفسنا أحراراً . نخضع لهذه السلطات الأربع (*) والى سلطات اخرى ليست اقل منها تحكماً فينا واستئثارا بالأمر دوننا . وهذه السلطات محصورة فى أيدى قلة من الناس اليهم التشريع واليهم التنفيذ واليهم الصحافة التى تكون الرأى العام .

---

(★) كتب طه حسين هذا المقال ولم يكن التليفزيون قد ظهر الى الوجود بعد ليصبح اقوى سلطة من السلطات المذكورة .

والظريف مع ذلك اننا نرى أنفسنا أحراراً سادة ، ونتبجح بتلك الحرية وهذه السيادة .

ونظن أنا نحن الذين ننتخب النواب والشيوخ ، وانما الاحزاب والصحف هي التي تصنع رأينا العام الذي ينتخب النواب والشيوخ ، ونظن اننا نأتي من الأمر ما نأتي ، وندع من الأمر ماندع لا نصدر في ذلك الا عن ارادتنا مع أننا انما نصدر عما اقرت الصحف والراديو والذين يلهمون الصحف والراديو في نفوسنا من المذاهب والآراء .

وليست السياسة هي التي تعنيني حتى أفكر في هذه الظاهرة الجديدة القديمة الخطرة ، وانما يعنيني شيء آخر اهم جداً من السياسة وامس منها بحياتنا العقلية وهو الثقافة التي تكون عقولنا وقلوبنا ، وتصور شعورنا ومزاجنا ، فقد تأثرت هذه الثقافة بالاعلان تأثراً شنيعاً منكراً .

★ ★ ★

وهكذا تعرض طه حسين لوزارة الشئون الاجتماعية وادارة الدعاية بها من بعيد ، ثم انتقدها من قريب حين وصفها بأنها « وزاره لم تخلق غير مادة الكلام .. ومادة للدعاية » .

فكان من الطبيعي أن تعاقبه هذه الوزارة وكيف تعاقبه ؟ لقد استغلت وجوده كعضو في « لجنة ترقية المسرح » التي صارت تابعة لها بعد انتقالها من وزارة المعارف اليها ، وقررت اقالة طه حسين من هذه اللجنة كعقاب له على جرأته في نقدها ، وفي مقال طويل طريف ساخر ذكر طه حسين قصته مع وزارة الشئون الاجتماعية وكيف انه كان حريصاً على الاستقالة-لولا أن « صديقاً وفياً أو خليلا أمينا » هو « خليل مطران » ظل يحاول اقناعه بالبقاء ، فاستجاب له على غير رضى واقتناع ، وكانت النتيجة اقالته من « لجنة ترقية المسرح » ، ورأى طه حسين في ذلك « عقوبة » ، أو كما يقول في نص مقاله تحت هذا العنوان ( والذى ننقله بصورته التى أملاه بها فيقول :

ولكنها عقوبة حلوة قد كنت أرغب فيها أشد الرغبة واحرص عليها اعظم الحرص ، ويردني عنها ود الأصدقاء وايثار الذوق . فأما ود الأصدقاء فمن اشد الأشياء تأثيراً في نفسي وصرفاً لي عن كثير مما أريد ، وحملا لي على كثير مما لا أريد حين يتصل ذلك بشخصي ولا يمس منافع الناس . وأى شيء أيسر من أن تحمل نفسك على بعض ما تكره أو تصرفها عن بعض ما تحب لترضي بذلك صديقا وفياً أو خليلا أميناً . والأصدقاء الذين اشير اليهم الآن يشهدون بأني كنت شديد الرغبة في الخروج من لجنة ترقية المسرح منذ نزلت عنها وزارة المعارف لوزارة الشئون الاجتماعية . وهم يعلمون انى كرهت من وزارة المعارف تخليها عن « التمثيل » وهو فن من فنون الأدب الرفيع الذى يجب أن تعنى به ، وتقوم عليه ، لوزارة ليس من شانها ان تعنى بالأدب الرفيع ، أو تنفق فيه جهداً قليلا أو كثيراً ، وانما انشئت لاصلاح ما هو دون ذلك وما هو فوق ذلك من الشئون التى تذهب فى واد بعيد جداً عن الوادى الذى تسلكه الفنون الجميلة . ولكن هؤلاء الأصدقاء رغبوا الى والحوا على فى ان ابقى عضواً فى « لجنة ترقية المسرح » ، وقال لى فى ذلك قائلهم كلاماً كثيراً لم يقنعنى ولم يكن من شانه ان يقنعنى ، ولكننى مع ذلك نزلت عنده ايثاراً للود وحياء من رد الصديق . وأما ايثار الذوق فقصة أخرى فيها شيء من الدقة لعلها لا تبلغ بعض النفوس ، ولكنها تبلغ نفسى المتواضعة . ولعلها لا ترقى الى بعض العقول ولكنها ترقى الى عقلى الضئيل .

واعتقد ان فى مصر نفوساً متواضعة كنفسى ، وعقولا ضئيلة كعقلى ، تسيغ من أمر الذوق مثل ما اسيغ ، وتنبو من أمر الذوق عن مثل ما أنبو عنه .

فوزارة الشئون الاجتماعية حديثة عهد بالوجود ولها على الناس الحق ان يعينوها مشيرين عليها وناقدين لها . وليس مما يلائم الذوق ان تكون عضوا فى لجنة فتستقيل منها ، لان امر هذه اللجنة قد صار الى وزارة الشئون الاجتماعية على غير رايك وهواك ، وانما الذى يلائم الذوق أن تبقى فى مكانك وتمضى فى عملك ناصحا لوزارة الشئون الاجتماعية كما كنت ناصحا لوزارة المعارف جاهداً فى خدمة الفن والأدب

ما وسعك الجهد ، فان استطعت البقاء على ذلك والنفع فيه لم تغير من امرك شيئا ، وان احسست العجز عن ذلك أو اشفقت منه كنت قد اعذرت وكان من حقك بل من الحق عليك أن ترفع استقالتك الى اللجنة أو الى الوزير .

واخرى لم تكن أقل من هذه القصة دقة ولا اجدر من هذه القصة بالمحافظة فيها على ما يلائم الذوق بل على ما يلائم الأدب .

وهى ان اللجنة التى كنت أريد أن استقيل منها دعيت الى الاجتماع فى بيت رئيسها صاحب السعادة الدكتور احمد ماهر باشا فلم يكن من الذوق ولا من الأدب أن اتلقى هذه الدعوة الكريمة فأرد عليها بانى مستقيل من اللجنة ، وانما كان ابسط الذوق وأيسر الأدب ، وكان من الايثار لنفسى بالخير ايضاً ان استجيب لهذه الدعوة وان أشهد اجتماع اللجنة وان انظر ما يكون فيها ، فان اعجبنى مضيت فى عملى والا اعرضت عنه واعتذرت منه .

وقد شهدت اجتماع اللجنة وانكرت بعض ما عرض فيها من راى وبعض ما القى فيها من كلام ، ولكنى آخر الأمر لم انكر من عمل اللجنة نفسها شيئا ، فقد انتهينا الى ما كنا نحب ، واحتفظنا بالطريق التى رسمناها لأنفسنا واقرتنا عليها وزارة المعارف حين انشانا اللجنة منذ اعوام ، واستطعنا ان نلائم بين ذلك وبين ما ارادته وزارة الشئون الاجتماعية مسرعة فى ارادته ، متعجلة فى القصد اليه غير مستأنية بالبحث ولا متمهلة فى الدرس والتفكير .

وانصرفت بعد هذا الاجتماع راضياً مطمئناً الى أن اللجنة لن تنحرف عن طريقها ولن تغير من سيرتها قليلا ولا كثيراً . وكنت أقدر انها ستلقى شيئا من العناء بين حين وحين لتحمى الفكرة الأدبية العليا من بعض التهاون . وتعصمها من بعض الابتذال . ولكن الحياة كلها عناء وجهاد ، ولكن الثقة بأعضاء اللجنة وحسن وفائهم للمثل الفنى الأعلى كانا يقنعاننى بأن من الخير أن امضى فيما بدأت فيه وان أرجىء التفكير فى الاستقالة حتى يصبح التفكير فيها شيئاً محتوما تفرضه على الظروف .

ونسيت لجنة ترقية المسرح وشئونها وانصرفت الى اعمال وشئون اخرى حتى امسيت ذات يوم فاذا نبأ فى الصحف بأن وزير الشئون الاجتماعية قد اعاد تاليف اللجنة فأخرج منها اعضاء واضاف اليها اعضاء . ثم اصبحت فقرات القرار الذى أصدره الوزير فى بعض الصحف الأخرى فاذا هو مصدق لما بين يديه من الأنباء وإذا هذا التعديل يحقق فكرتين فى وقت واحد ويصيب عصفورين بحجر واحد ، استغفر الله بل يحقق فكرتين ويصيب ثلاثة عصافير . فأما الفكرتان فهما اخراج طه حسين من لجنة ترقية المسرح من جهة ، وقطع الصلة بين هذه اللجنة وبين وزارة المعارف من جهة أخرى . فقد كان لوزارة المعارف بقية من اثر فى هذه اللجنة ، وهو مدير الأوبرا الذى اختاره لعضوية اللجنة بناء على اقتراح اللجنة نفسها وزير المعارف السابق .

واما العصافير الثلاثة التى اصابها قرار الوزير بحجر واحد فهى :

مدير الأوبرا ، ورئيس تحرير المقطم ، وطه حسين .

ومن الواضح ان رئيس تحرير المقطم قد اخرج من اللجنة مجاناً ان صح هذا التعبير ، فما كان أن يظهر القصد الى طه حسين ووزارة المعارف صريحا مجرداً بل لم يكن بد من وقاء ، وقد كان خليل ثابت هذا الوقاء ، فليكن له منى اصدق الشكر واخلص الاعتذار .

على ان القرار قد أباح للجنة أن تضم اليها من شاءت من غير اعضائها ، وفى هذه الاباحة ما يجيز للجنة ان ارادت ان ترد مدير الأوبرا لمكانه الفنى ، وان ترد خليل ثابت لمكانه الصحفى ، وأن تأسو بيد ما جرحته يد القرار الذى اصدره الوزير ، وتنتهى القصة آخر الامر الى اخراج هذا الشخص الخطر البغيض الذى لم يصطنع الذوق فى استقبال وزارة الشئون الاجتماعية ، فتلقاها بنقد بعض اعمالها فى هذه الصراحة التى يعرفها الناس له ويعرفها هو لنفسه والتى تعودت ان تؤذى الناس وان تملأ صدورهم عليه حفيظة وموجدة . ومع ذلك فقد كان هذا الشخص الخطر البغيض الذى يؤذى الناس ويؤذى نفسه بصراحته المرة ، يستطيع ان يجرى الأمور بينه وبين الشئون الاجتماعية على خير ما تجرى الأمور ، لولا ان فيه صلابة وعناداً وحباً للحرية غير

سائغ فى مألوف الناس . لو أنه عرف كيف يستجيب للدعوة اللطيفة الحلوة التى وجهها اليه السكرتير العام لوزارة الشئون الاجتماعية فى مكتب وزير الأشغال حين افهمه فى صراحة صريحة أنه يريد كما يريد الوزير لقاءه والتحدث اليه والاستعانة به ، وحين استعان عليه بوزير الأشغال ليستجيب لهذه الدعوة .

لو أنه فهم هذه الدعوة وعرف كيف يستجيب لها كما يستجيب لها اصحاب اللباقة والمهارة والحذق فى التقرب من اصحاب السلطـــان ، لرضيت عنه الوزارة وأقرته فى لجنة التمثيل ، وحشرته فى لجـــان أخرى كثيرة من هذه اللجان التى تنشئها الوزارة فى كل يوم . ولكن صاحبنا تلقى هذه الدعوة فى فتور ورد عليها فى ادب فاتر ، ولم يمر على هذا المكتب أو ذاك فى وزارة الشئون الاجتماعية لأنه لم يتعود أن يمر على المكاتب الا ان يكون له فيها اصدقاء يؤثرهم بالبر والود ، ولأنه لم يكن مستعداً للعمل فى اللجان التى تؤلف فى كل يوم والتى تجتمع مصبحـــة وتجتمع ممسية وتقول كلاماً كثيراً ولا تعمل شيئا ذا خطر ، ولأنه قـــد شارك فى لجان كثيرة حتى سئم اللجان واعمالها وآثر الخلوة الى ما ينبغى ان يشغله من القراءة والدرس والاملاء .

ولم يقف خطر هذا الشخص الخطر البغيض عند هذا الفتـــور ولا عند هذا التقصير فى ترك البطاقات ، فلو قد اكتفى بهذا التقصير وذلك الفتور لاحتمل على عيبه ولتقبل على ما فيه من جفوة وغلظة ، ولكنه لم يكد يستقر فى القاهرة بعد عودته من اوربا حتى أخذ يكتب فى « الثقافة » واذا هو يمس وزارة الشئون الاجتماعية من قريب مرة ، ومن بعيد مرة اخرى ، وينقدها معرضا حيناً ومصرحاً اخرى ، على حين لا يكاد احد يعرض لهذه الوزارة الا بالحمـــد والثناء والتقريـــظ والاطراء .

فحدثنى كيف يباح لرجل ان يكون عضواً فى لجنة خاضعة لسلطان الوزارة ثم يعرض لهذه الوزارة بالنقد ؟ اى عقل يقبل هذا الكلام ، واى مزاج يسيغه ، وفى أى عرف يمكن ان يرضى الناس عنه ؟!

ان الذين يعملون فى لجنة تخضع للوزارة يجب ان يخضعوا الوزارة او يخرجـــوا مـــن اللجنـــة ، فاذا لم يخـــرجوا من تلقـــاء انفسهـــم

اخرجوا منها اخراجاً . وكذلك يجب ان يكون مفهوما عند الذين يشتركون فى لجنة من اللجان الخاضعة لوزارة الشئون الاجتماعية أنهم بمجرد قبولهم لهذا الاشتراك ينزلون للوزارة عن حقهم فى حرية الراى وفى حرية النقد ، ويصبحون مخيرين بين اثنتين احداهما : أن يطلقوا السنتهم ويجروا أقلامهم بالحمد والثناء .

والأخرى وهى اسوأ الأمرين أن يضطروا انفسهم الى الصمت وأن يعقلوا الألسنة ويعقلوا الأقلام .

فاما ان خرجوا عن هاتين الخصلتين فهم لوزارة الشئون الاجتماعية عدو ، وما ينبغى أن يكون التعاون بين الأعداء .

وقد صدق قول الشاعر القديم حين قال :

فاما ان تكون اخى بحق فاعرف منك غثى من ثمينى

والا فاطرحنى واتخذنى عدواً اجتويك وتجتوينى

فانى لو تخالفنى شمالى خلافك ما وصلت بها يمينى

نعم ولكن المهم هو أن نعرف معنى الاخاء الحق والعدو الحق ، والذى يفهمه أمثالى من اصحاب النفوس الساذجة والعقول التى لا تخلو من بله : أن الاخاء الحق قد يقتضى النقد ، والنقد المر الصريح ، وأن العداء الحق قد يقوم على الحمد والثناء ، وعلى التقريظ والاطراء ، وعلى المصانعة والموافقة ، وعلى اظهار ما ينبغى أن يخفى ، واخفاء ما ينبغى أن يظهر .

ولم يقف امر هذا الشخص الخطر البغيض عند هذا الحد ، ولكنه فى بعض ما كتب نصح لوزارة الشئون الاجتماعية أن تقرأ كتابا من الكتب الفرنسية ، وقد سمى هذا الكتاب باسمه ، وسمى مؤلفه باسمه ايضا ، ولكنه لم يسمح باعارة نسخته من هذا الكتاب لوزارة الشئون الاجتماعية، على أنها الحت عليه فى استعارة هذا الكتاب مرات ، ووسطت عنده وسطاء ، والظريف أن الكتاب لا يتجاوز ثمنه عشرين قرشاً ، ولعله لا يبلغها ، فما رأيك فيمن يعمل فى لجنة خاضعة لوزارة الشئون الاجتماعية

ويبخل عليها وعلى سكرتيرها باعارة كتاب ؟! هـذا دليل واضح على سوء نيته وفساد طويته ، وعلى أنه لن يكون صادقا فيما سيبذل للوزاره من مشورة تتصل بشئون التمثيل ، فيجب أن يخرج من لجنة التثميل طائعا ، فان لم يفعل أخرج منها كارها .

وليس المهم أن تقدر الوزارة أولا تقدر أن هذا الشخص الخطـر البغيض حريص او غير حريص على البقاء فى لجنة التمثيل ، راغب فى العمل مع وزارة الشئون الاجتماعية أو راغب عن هذا العمل ، ولكن المهم ان نخرجه من هذه اللجنة وأن يقول الناس كان فلان عضواً فى هـذه اللجنة فأعيد تأليفها ليخرج منها اخراجاً ، وليشعر الناس بأن من أحدث ذنوبا ،احدثت فى وزارة الشئون الاجتماعية له عقوبة تـلائم هـذه الذنوب ، وليشعر الناس بأن نقد وزارة الشئون الاجتماعية له عقوبة تلائم هذه الذنوب ، وليشعر الناس أن نقد وزارة الشئون الاجتماعية ليس من الأشياء الهينة التى تستطيع أن تسعى رضية النفس رحيـة البال دون أن تلقى فى طريقها ما يردها الى القصد ويحملـها عـلى الاعتدال .

★ ★ ★

وكان طـه حسين قبل أن يكتب مقاله ويمضى فيه لينشره فى مجلة « الثقافة » على الراى العام ، قد كتب الى صديقه خليل مطران ليقول له « الم اقل لك » ، ثم يبلغه بأمر استقالته من « لجنة القراءة » ليكون الأمر بيده هذه المرة لا بيد « عمرو » ، وطلب منه ان يبلغ الوزير ويبلغ « لجنة ترقية المسرح » بهذه الاستقالة .

ولما كانت الاذاعة قد صارت تبعيتها لوزارة الشئون الاجتماعية ، وكان طـه حسين عضواً بها فى « لجنة الاذاعة » ، فقد سارع بتقديم استقالته منها ايضاً غير راغب فى البقاء بأى لجنـة من لجـان وزارة الشئون الاجتماعية ، فقد كتب طـه حسين الى :

حضرة صاحب السعادة رئيس لجنة الاذاعة

أتشرف بأن ارفع اليكم استقالتي من عضوية لجنة الاذاعة شاكراً لكم ولحضرات الزملاء ما تفضلتم به على أثناء العمل معكم من الرعاية والمودة .

أما سبب استقالتى فيسير جداً فقد عرفت ان آرائى فى بعض اعمال وزارة الشئون الاجتماعية لا تعجب حضرة صاحب المعالى الـوزير ، ونشأ عن ذلك انه اضطر الى تعديل لجنة المسرح ليخـرجنى منها ، وما أريد أن أضطره الى تعديل لجنة الاذاعة .

فأرجو أن تتفضلوا فتبلغوه هذه الاستقالة ليختار من يخلفنى مـن الذين تعجبه آراؤهم .

وتفضلوا بقبول تحيتى الخالصة وودى الصادق .

٧ نوفمبر ١٩٣٩



وبينما كان طـه حسين يستقيل من كـل اللجان المتصلة بوزارة الشئون الاجتماعية قبل أن يخرجه وزيرها منها عقوبة وانتقاما ، وبينما كان يكتب تفاصيل الموقف كله لعرضه على الراى العام ، كان فى نفس الوقت ينتظر موقف صديقه توفيق الحكيم مدير ادارة الدعايـة بوزارة الشئون الاجتماعية ، وما عسى أن يكون عليه موقفه تجاه صديقه الذى عوقب وأهين بسبب آرائه .

لقد تعرض توفيق الحكيم لموقف مشابه قريب ، ولكن من وزارة المعارف عندما عاقبته بسبب آرائه أيضا ، وانتهزت أول فرصة لابعاده عنها فى غيبته ، مما أشعره بالاهانة الى درجة « الذل » كما أحس بذلك واعترف به ، ومما زاد من آلامه أنه تلفت يمينا وشمالا فلم يجد مدافعا عنه ، فهل سيلتزم موقف الأدباء منه ، تجاه صديقه طه حسين ، أم سيتخذ موقفاً آخر اكثر ايجابية خاصة وأن الذى تعرض للاهـانة هذه المرة هو طه حسين صديقه ؟

ولم يجد طـه حسين صدى لما حدث له ، عند توفيق الحـكيم .
وهنا لم يستطع طه حسين أن يلتزم الصمت ، فنشر على الرأى العام في مجلة « الثقافة » موقف صديقه توفيق الحكيم ، كما كشف النقاب صراحة عن موقفه هو منه يوم تعرض لأزمة مشابهة منذ حوالى سنة ، مذكراً اياه بموقفه الايجابى منه ، بينما هو يتعرض الآن الموقف سلبى منه فقال طـه حسـين :

وهنا احب ان أذكر صديقى مدير مصلحة الدعاية فى وزارة الشئون الاجتماعية بقصة لم يمض عليها العام ولم ينسها الناس ، وما كنت احب أن أذكره بها ، وما كنت أحب أن أعرض لها بخير أو شر لولا أننا بازاء وزارة الشئون الاجتماعية ، وهى وزارة اصلاح قبل كل شىء ، ووزارة اصلاح يرتفع فوق مودة الأصدقاء وعداوة الأعداء . وزارة اصـلاح يقوم على المثل الأعلى فى القول والعمل ، وفى السر والجهر ، وفى السيرة الشخصية والاجتماعية ، ورحم الله الشاعر القديم الذى قال :

يا ايها الرجـل المعلم غيره هلا لنفسك كان ذا التعليم
ابدأ بنفسك فانهها عن غيها فاذا انتهت عنـه فانت حكيم .

ورحم الله ابا العلاء حين قـال :

اذا فعل الفتى ما عنه ينهى فمن جهتين لاجهـة أسـاء

فلأذكر صديقى مدير مصلحة الدعاية فى وزارة الشئون الاجتماعية بقصة ، بل بقصتين لم يمض عليهما العام ولم ينسها الناس بعد .

فأما القصة الأولى فأمر كاتب من الكتاب تعرض فى صحيفة من الصحف لشئون السياسة ، ومس الوزارة التى كانت قائمة بما تكـره ، مس وزيره ، ومس رئيس الوزارة . أقال جماعة من الوزراء وأقام مكانهم وزراء آخرين ، ولم يكره أن يمس النظام البرلمانى بما لا يحب البرلمانيون، وقد غضب رئيس الوزراء يومئذ لأن البرلمانيين احتجوا ، فأمر بهـذا الكاتب وكان موظفاً فعوقب فى مرتبه بخصم جزء منه ، وأظن أن بين الناس من ضاق بهذا الأمر اشد الضيق ، وسعى فى رفع هذه العقوبة بنفسه عند الوزير الذى فرضها ، وعند وزير المالية يومئذ ، وعنـد

رئيس مجلس الشيوخ ، ووسط من يسعى فى ذلك عند رئيس الوزراء لانه لم يكن من الذين يبلغون رئيس الوزراء ، وهو لم يفعل ( يقصد نفسه أى طــه حسين ) ذلك ايثاراً لشخص الكاتب ، وأن كان لـــه صديقا ، وانما فعل ذلك حفاظاً لحرية الرأى ودفاعاً عنها وغضباً لحرية النقد أن تتعرض للخطر فى ظل النظام الديمقراطى .

فهذه احدى القصتين ..

أما القصة الثانية ، فهى أن لهذا الكاتب نفسه كتابا ظريفاً أشاعت الصحف أن الأزهر الشريف اعترض على تقريره فى مدارس الدولة ، وغضب صاحب الكتاب لهذا الاعتراض ، ولم يتحقق صدق الخـــبر ، وانما تعجل فتحدث الى الصحف بما آذى الأزهـــر وآذى شيخـــه ، فغضبت الوزارة وهمت بمعاقبة الكاتب مرة أخرى » .



أما تفاصيل هذه الأزمة ، فنبدأ بخبر نشرته بعض الصحف المسائية عن تلقى وزارة المعارف لرسالة من مشيخة الأزهر التى كان على راسها آنذاك « الشيخ مصطفى المراغى » بشأن حظر كتاب « يوميات نائب فى الأرياف » لتوفيق الحكيم ، لتعرضه فيه لهيئة القضاة الشرعيين .

وقد تلقفت الخبر ، صحيفة « المقطم » وسألت توفيق الحكيم رايه فيه ، فاجاب بدون أن يتأكد من صدق الخبر ، باجابات أخذت منهـــا الصحيفة المذكورة عناوين مثيرة على لسان توفيق الحكيم ، تقول :

« الأزهر والحياة العقلية فى مصر .. وجوب تدبر الخطر بتدخله المتكرر فى جميـــع شـــئون الدولـــة الفكرية » .

واتضح بعد ذلك أن مسالة حظر كتاب توفيق الحكيم ، وكتاب آخر تردد حظره « لبرناردشو » ، عن « جان دارك » ، فى الجامعة ، لم تبلغ رسميا لوزارة المعارف ، وقد ابلغ وزير المعارف نفسه د. محمد حسين

هيكل ( الذى سبق أن وقع عليه عقوبة خصم خمسة عشر يوما من مرتبه بسبب مقاله عن النظام البرلمانى ) توفيق الحكيم بهذا عندما استدعاه الى مكتبه ، وطلب منه الاعتذار عن تصريحاته ، فرفض على أساس أن مشيخة الأزهر نفسها لم تتعرض بالتكذيب رسمياً للأخبار التى نشرتها الصحف منسوبة اليها ، وكاد الأمر يتطور حين تردد أن وزير المعارف سيعرض الموضوع على مجلس الوزراء ، وسيثار فى البرلمان خاصة بعد أن قام رئيس مجلس الشيوخ آنذاك ( محمد محمود خليل صاحب المتحف الشهير باسمه الآن على نيل القاهرة ) ، غير أن الموضوع ما لبث أن تمت تسويته وأصبح منتهياً .

★ ★ ★

وقد كان لطه حسين دور فى هذه التسوية يتحدث عنه وهو يذكر الحكيم به ويعلن للرأى العام تفاصيل موقفه منه ، فيقول عن نفسه :

وكان بين الناس فى ذلك الوقت رجل لم تكن الحكومة التى كانت قائمة تحبه ، ولعلها كانت تبغضه ، ولكن ذلك لم يمنعه من أن يسعى عند الوزير الذى كان يخضع له هذا الكاتب ، بنفسه ، ومن يتوسل اليه برئيس مجلس الشيوخ لرده عما كان يهم به من البطش .

واذا لم تكذبنى الذاكرة فان هذا الرجل هو الذى املى كتابا يضع الأمور فى نصابها . وعرضه على الوزير ، فلما قبله أمضاه الكاتب وقدمه الى الوزير .

واذا لم تكذبنى الذاكرة فان هذا الرجل لم يغضب لذلك الكاتب لأنه كان صديقا له بل غضب لحرية الرأى والنقد ، وأظنه تحدث الى بعض أصدقائه فى أن يقاوموا الوزير بانكار عمله ان اقدم على عرض العقاب ، ولم يخف تدبيره هذا على الوزير نفسه ، ولم يصل الأمر الى المقاومة لأن الوزير نفسه لم يكن عدواً لحرية الرأى وانما كان حريصا على النظام .

احب ان اذكر صديقى مدير الدعاية بمصلحة الشئون الاجتماعية بهاتين القصتين لأن الذكرى تنفع المؤمنين وتنفع الذين يريدون الاصلاح

الاجتماعى بنوع خاص ، وتحمل الناس على أن يفكروا فى أن للنقد حرية يجب أن تكون فوق العقاب ما دام أصحابها لا يتجاوزون بها حدود القانون ، وفى أن للثقافة على أهلها حقوقاً أيسرها التضامن والوفاء ، وفى أن من الآثام فى ذات الثقافة أن يظاهر مثقف على مثقف ، أو يعين أديب على أديب » .



ويمضى طه حسين فى حديثه المليء بالمرارة والذى يبدو أنه شعر بأنه قد طال أكثر مما يجب ، فيعتذر « من هذا الحديث الطويل السخيف الذى يتصل بشخص فى ظاهر الأمر ولكنه يتصل بحياتنا العقلية والاجتماعية فى حقيقة الأمر .

فخلاصة هذه القصة أن كاتبا أعرب عن رأيه داعيا الى الاصلاح فأغضب وزارة الشئون الاجتماعية فعاقبته باخراجه من لجنة التمثيل، ولو استطاعت أن تعاقبه بشر من ذلك لفعلت فيما يظهر . ولكن ما لا يدرك كله لا يترك كله — وشيء خير من لا شيء — . وأظن أنه من الخير أن يلتفت الناس الى أن هذه ظاهرة خطرة لا ينبغى أن تقر ولا أن تلقى منهم رضى وتأييداً ، ولا سيما حين تظهر فى وزارة قد انشئت للاصلاح وللاصلاح وحده .

وانا واثق كل الثقة بأن الوزارة القائمة لا ترضى هذه الظاهرة ولا تقرها ، لأنى أعرف رئيس الوزراء ، وأعرف زملاءه ، وأعرف فيما بينى وبين نفسى ، وفيما بينى وبين كثير جداً من الناس أنهم يرتفعون ويريدون أن ترتفع أمور الحكم عن مثل هذا .

وأحب أن يعرف الناس أنى لا أقول هذا ترضياً للسلطان ، فأنا أقل الناس تهالكا على رضى السلطان ، وقد جنيت لذلك ثماراً يراها الناس مرة وأراها أنا حلوة شهية .

وانما هو حق أراه ، ومن الواجب أن أسجله . وأحب بعد هذا وذاك أن يعلم الناس أنى لن أعود الى لجنة التمثيل مهما تكن الظروف

ما دامت تابعة لوزارة الشئون الاجتماعية التى لا تعرف للنقد البرىء حقه فى الحرية . وقد قال كثيرون من الذين يؤرخون للآداب ، ان الأدب صورة للبيئة التى ينشأ فيها ، فاذا كان هذا الحديث سخيفاً تافهاً فليس على من بأس ، فهو صورة لناحية من حياتنا لا تخلو من تفاهة وسخف.

طـــه حسين

»

★ ★ ★

فى مقال آخر بعد ذلك لم يتورع طـــه حسين عن ذكر اسم صديقه توفيق الحكيم صراحة حين طرح عدة تساؤلات انتقادية يقول فيها :

متى يرحمنا الله من الاعلان ؟

ومتى تقتصد وزارة الشئون الاجتماعية من الاعـــلان ؟

ومتى يكلف الأستاذ توفيق الحكيم شيئا غير ادارة اعلان » (*) ؟!

★ ★ ★

لقد كانت صداقة طـــه حسين وتوفيق الحكيم ككل الصداقـــات تتعرض لحالات من المد والجزر ، وان كانت شخصية طـــه حســـين الناقد ، غير شخصية طـــه حسين الصديق ، وهذا يحسب له ، حتى وان « كانت صداقته متعبة وعداوته متعبة » ، كما قال أحمـــد أمين ( صديق الطرفين ) لتوفيق الحكيم ، والذى كان يتمتع مثله بعلاقـــة « صداقة ادبية وشخصية ومشاركة » كما يصفها توفيق الحكيم نفسه ، ومع ذلك تعرضت صداقتهما بطـــه حسين لما تتعرض له اى صداقة « من لحظات صفاء ولحظات غيوم . ولعل هذا هو الشأن فى كـــل صداقة » كما يقول توفيق الحكيم .

★ ★ ★

---

(★) بروباجندا ــ السابق .

غير ان المسالة هنا كانت ابعد ما تكون عن المواقف الشخصية ، فالقضية عامة ، ومثلما تعرض الحكيم لأزمة ولم يجد من يدافع عنه من الأدباء — اذا استثنينا موقف طـــه حسين — فقد تعرض طـــه حسين لازمة هو ايضا ، وما عابه الحكيم على الأدباء وقع هو نفسه فيه فالتزم الصمت ولم يتخذ موقفاً ، مما جعل طـــه حسين يغضب منه غضبا سيظل ظاهراً فى مواقف متعددة بعد ذلك ، بداها حين اتهم توفيق الحكيم على صفحات الأهرام ( ١٠ يوليو ١٩٤٠ ) بانه من « عشاق الدعاية وطلاب الأدب اليسير » .

★ ★ ★

غير أن طـــه حسين نفسه يتعرض لمحنـــة شـــديدة سنة ١٩٤٦ شبيهة بمحنته التى فصل على اثرها من الجامعـــة سنة ١٩٣٢ بسبب اصطدامه مع وزارة صدقى الديكتاتورية ، أما هذه المرة فقد كان تعريضه بالملك بالرمز والتلميح كافيا لكى يضيق عليه الخناق فيحال على المعاش من منصبه كمستشار فنى لوزارة المعارف ، ثم يجبر على الاستقالـــة كمدير لجامعة الاسكندرية ، ثم اغلقت مجلة « الكاتب المصرى » آخر معاقله ، ليجد نفسه بلا مأوى ، فتتلقفه جامعات أوربا تدعوه للتدريس فيها طوال العام ، مما يقوى عزمه على الهجرة عله يجد فى الخـــارج « ما ينسيه طعم المرارة التى ذاقها من اهمال قومه هنا وذويه » كما يقول توفيق الحكيم فى مقاله باخبار اليوم فى ١٩٤٨/١٠/٩ تحت عنوان « الأديب المنفى » (*) مؤكدا أن « الخاسر فى ذلك بلاده » مستنهضـــا الأصدقاء من رجال الجامعة والأدب ، والسياسة ، والرسميين ، متسائلا « ماذا تراهم فاعلين ليشعروه أن وطنه محتاج اليه ، وانه لا يطيق غيبته الطويلة ولا نفيه المختار » .

ولعل الحكيم اراد بهذا المقال ان ينسى طـــه حسين مرارة صمته عنه ابان أزمته السابقة مع وزارة الشئون الاجتماعية . ولم يكن طـــه حسين من النوع الذى يطيق أن يهجر بلاده حتى لو هجرته بلاده فعاد ليواصل كفاحه الأدبى والسياسى .

★★★

---

(★) المقال كاملا فى ملحق « الوثائق » .

مهما يكن فان محنة توفيق الحكيم ، وازمة طـه حسين ثم محنته بعد ذلك ستعطينا مؤشراً واضحا على ضعف موقف المثقفـين ، ليس فقط فى الماضى بل فى الحاضر ايضاً ، أو كما يقول أحمد بهاء الدين (*) :

نحن الآن جزء من عالم متخلف ، الأمية عندنا تزيد على خمسين فى المائة ، هل يعتقد أحد ان المثقف حين يحس أنه فى العراء ، بدون حماية مدنية ، هو المثقف الذى يحس انه فى منطقة المجتمع المدنى بكل ما فيه من مؤسسات ورأى عام .. الى غير ذلك .

ان الكاتب عندنا لا يجد من يحميه ، فان هناك درجة من المخاطرة ( ..... ) من المؤكد ان مؤسساتنا حتى الآن ضعيفة ، اقصد هـذه المؤسسات التى تكون الرأى العام وتصنعه وتحاول الدفاع عنه مثل الجامعات والمجالس النيابية ، والقضاء ، والمؤسسات الصحفية .. الى غير ذلك . وهنا الاحظ ( والكلام لأحمد بهـاء الـدين ) أن موقف المثقفين — كما يلاحظ الباحث — ضعيف » .

★ ★ ★

ومظاهر هذا الضعف لا تزال قائمة حتى الآن بدليل هـذا الموقف الذى وقفه استاذ للفلسفة بالجامعة أمام محكمة الجنايات بسبب آراء نشرت عنه محرفة عن « ابن رشد » ، وهى المرة الأولى التى يقف فيها استاذ للفلسفة أمام المحكمة ( ١٥ مايو ١٩٩٥ ) منذ محاكمة « ابن رشد» فى القرن الثانى عشر الميلادى بسبب فلسفته العقلية التى تقدم بهـا الغرب حين انتفع بها ، وتخلفنا نحن عن حين أعرضنا عنها .

يقول أستاذ الفلسفة وخبيرها بمجمع اللغة العربية د. عاطـف العراقى بعد أن برأته المحكمة ، متسائلا (**) :

---

(★) فى تقديمه لكتاب « المثقفون وعبد الناصر » للدكتور مصطفى عبد الغنى .
(★★) نقلا عن نص مخطوط له نشره المؤلف بمجلة الاذاعة والتليفزيون تحت عنوان « يوم من عمرى » .

اين هؤلاء الذين يتحدثون عن التنوير ، وحديثهم هذا يعد كلاما فى كلام ؟

اين اختفى هؤلاء يوم ان وقفت امام المحكمة ؟

انهم فيما اعتقد من اشباه المفكرين ومن الرجال السطحيين الذين يقفون عند القشور لأن افهامهم الجامدة والمتخلفة ليس بامكانها تجاوز القشور ويحيث يصلون الى الأعماق .

لم يتحرك واحد منهم سواء قبل صدور حكم لى بالبراءة ، أو بعد صدوره .

ان هذا يؤكد لنا اننا فى مجال الفكر نعمل وكاننا فى مجتمع العصافير وليس فى مجتمع النمل . كل عصفور يتقاتل مع الآخر ، فى حين اننا نجد الألفة والتعاون فى مجتمع النمل . دخلت الى صومعتى الفكرية وانا اقول :

لعنة الله على هؤلاء الذين يزعمون للناس انهم من الذين يتحدثون عن التنوير ، فى الوقت الذى تعد حياتهم التى يحيونها ، ظلاما فى ظلام . تعد حياتهم مبتعدة تماما عن الدفاع عن التنوير ، وداخلة فى بحر الظلمات والجهل والتخلف . اناس تحسبهم من المثقفين ، وهم ليسوا بمثقفين ، بل اشباه مثقفين ، ومن هنا كانت ازمة الثقافة بمصر سببها هؤلاء الناس الذين يزعمون لانفسهم انهم من المثقفين فى الوقت الذى نجد فيه الفرق بينهم وبين الثقافة الجادة ، أكبر من المسافة بين الانس والجن ، وان كان اكثرهم لا يعلمون » .



هل استطعنا اذن أن نفسر بعض مواقف طـــه حسين ، وتوفيق الحكيم ، وغيرهما بضعف المثقفين فى عصرهما وغير عصرهما ؟

( ٣ )

رغم كل شيء فقد كان طـــه حسين على استعداد لأن يعفو ، وكان توفيق الحكيم على استعداد هو الآخر الا يخسر هذه الصداقة الادبية والشخصية مع طـــه حسين ، فعادت مياه عـــلاقتهما الى طبيعتهـــا مستأنفين الرسائل والحوار فيما بينهما ، فبعث توفيق الحـــكيم مـــن القاهرة خطابا الى طـــه حسين وهو فى المصيف يقول له فيه :

القاهرة فى ٣ يوليو ١٩٤٩

٣٣ شارع القصر العالى — قصر الدوبارة .

اخى الجليل

ابعث اليكم من مصر باطيب التحيات واسأل الله ان تكونوا فى المصيف على خير حال .

اما بعد فقد حجز لى مكان على الباخرة « الملك فؤاد » التى تغادر الاسكندرية فى ٢٤ يوليو ان شاء الله .. وقد رايت من الواجب قبل أن اضع أو يوضع لى برنامج الرحلة أن استطلع رايكم فيما كنا بصدده من نية الاجتماع فى المصيف أياماً .. فاذا لم يكن طرأ على برنامجكم تغيير ورأيتم ان احضر اليكم فى الجبل من مارسيليا مباشرة ، فانى ابدأ رحلتى بهذا .. واذا لزمكم من مصر شيء أحضره معى فما عليكم الا ان تامروا .

وفى الختام ارجو ان تتكرموا بابلاغ تحياتى واحتراماتى مدام طـه بك والنجل العزيز كلود ( مؤنس ) .. مع سلامى لفريد ( سكرتيره ) .. ودمتم فى أوفر عافية وأتم نشاط واكمل هناء .

المخـلـص

توفيق الحكيم

★ ★ ★

ورد عليه طـه حسين فى ١١ يوليو ١٩٤٩ من باريس ( فيما نشره توفيق الحكيم فى « وثائق من كواليس الأدباء » ) ليخبره أنه لم يتحدد بعد المكان الذى سيصطافون فيه وسيقوم بتحديده بعد وصول توفيق الحكيم الى باريس ، ويضيف « وانى أشكر لك اجمل الشكر استعدادك ما قد أحتاج اليه من مصر ، ولن أحتاج الا لشىء من السجائر وانت رجل لا تدخن .. ولك مع ذلك الحق بمقتضى القانون الفرنسى ان تدخل فى فرنسا بمقدار لا بأس به من السجائر لا يقل عن الألف » .

ويوضح له اهمية هذه السجائر بالنسبة له فيقول له مداعباً « فانت تعلم أن السيجارة تلهمنى كما يلهمك الجلوس فى القهوة » .

★ ★ ★

وسافر توفيق الحكيم الى باريس فوجد طـه حسين قد تركها الى مصيفه اختاره بقرب « مارسيليا » ، وشرح له ( فى رسالة ) كيفية الوصول اليه ، ولكن توفيق الحكيم الذى لم يسافر الى باريس من مدة طويلة منذ ما قبل الحرب العالمية الثانية وجد نفسه مشدوداً الى العاصمة الفرنسية ، منصرفا عن المصيف ، وبالتالى لم يذهب الى طـه حسين ، وقد ساق اليه أسباباً مضحكة واهية لكى يبرر له عدم اللحاق به .

يقول توفيق الحكيم :

باريس فى ٣ سبتمبر ١٩٤٩

صديقى العزيز

تلقيت كتابك الكريم ، وما أن عرفت أن على الهبوط من شمال فرنسا الى جنوبها ، ثم الصعود من الأرض الى القمم ، على ارتفاع اربع عشرة مئة من الأمتار ، وأن اركب القطار ثم انتقل منه الى « الكار » حتى اخذني الدوار ! .. فان اقصى جهودى أن اهبط من الفندق الى القهوة ، واصعد من القهوة الى الفندق .. فاذا غامرت يوما وذهبت الى حى متطرف من أحياء باريس ، فانى اقول : اللهم رد غربتى ! .. واعود حالا الى مقرى وانا اتنفس الصعداء ..

ثم كيف اترك باريس الآن ، وقد بدات المسارح تفتح ابوابها بابا بعد باب .. واخذ « المحار » البرتغالى ، و « المول » البحرى تظهر بشائره فى مطعم « ملك الأصداف » فى ميدان « كليشى » ! .. وانا من هواة « المحار » .. لا اتعب من ملاحظة بائعة وهو يفتحه بسكينه ، ويرصه فى أطباق ، يحملها خدم المطاعم .. فتسافر انظارى خلف الأطباق على حد تعبير بديع الزمان ..

لا .. ليس من السهل أن اترك باريس الآن .. وخصوصاً وأن مقامى فيها لن يجاوز اليوم العشرين من هذا الشهر .. فأمامى اذن اقل من اسبوعين ، اعد فيهما عدتى للرجوع الى مصر .. فاذا اردتم من مصر شيئاً فانى رهن الاشارة ..

وختاماً ارجولكم وللمدام ومؤنس وفريد ، مقاماً طيباً وعوداً حميداً .. وأن اراكم فى مصر هذا الخريف على احسن صحة وأتم هناء باذن الله .

والسلام

توفيق الحكيم

حاشية : السجاير التى عندى .. كيف أوصلها اليكم ؟ وكذلك لكم فى ذمتى هدية : هى زجاجة « أولدبار » جئت بها لكم من مصر ونسيت اخبركم بأمرها .. اظن الأوفق أن اجعل هذه الأشياء فى حزمة وأن أودعها أمانة لكم عند بواب « لوتيسيا » (*) ..

هل من رأيكم ذلك ؟!



(*) اسم الفندق الذى ينزل به طه حسين .

وهكذا لم يتم اللقاء بين الصديقين فى المصيف مرة اخرى كما اتفقا لانجاز عمل مسرحى مشترك كان من المفترض انجازه منذ اجتماعهما فى المصيف لأول مرة سنة ١٩٣٦ ، وهو حلم كان يراود « خليل مطران » أول مدير للفرقة القومية المصرية المسرحية .

وقبل أن يغادر توفيق الحكيم باريس تلقى رسالة من طـه حسين تتضمن مقالا فيما يبدو انه تردد فى نشره ، وربما كانت هذه هى المرة الأولى التى نكتشف فيها ان طـه حسين يعرض مقالاته على احد من الكتاب او الأدباء قبل نشرها ، فما بالك بتوفيق الحكيم الذى كان قد غضب منه غضبا شديداً ابان ازمته مع وزارة الشئون الاجتماعية ، واشتكاه للقراء لأنه لم يقف معه كما وقف هو نفسه معه ابان أزمته مع وزارة المعارف ، وازمته مع الأزهر وشيخه ؟! غير أن ارسال طـه حسين لمقال له الى توفيق الحكيم ليدلى له فيه برايه قبل نشره ، يدلنا على ان طـه حسين قد تجارز الأزمة مع صاحبه بشكل عملى وان لم يتجاوزها بشكل نفسى او شخصى كما سيتبين لنا فيما بعد حـين يدلى لخاصته بآراء حادة فى توفيق الحكيم كنوع من التنفيس عن خيبة أمله فى صديقه الذى لم يكن يتوقع منه أن يتخلى عنه فى محنته مـع وزارة الشئون الاجتماعية التى ارادت معاقبته بسبب آرائه فيها وفى دورهـا كوزارة للدعاية والاعلان اكثر منها وزارة اصلاح ، حتى لو كان مدير الدعاية والاعلان فيها هو توفيق الحكيم نفسه ، فالحق أولى بالاتباع ومناصرة اهل الفكر والأدب من المفترض ان تكون أسبق لأصحابها من مناصبهم ، وأحرص على نجدة الصديق فى محنته من الحرص على الوضـع المهنى فى وظيفة هنا او هناك ، لأن قيمة المفكر والأديب أبقى وارفع من المنصب الذى يشرف المنصب نفسه به ، دون أن يكون للمفكر والأديب مثل هذا الشرف بالنسبة لمنصبه ، ولكن يبدو أن الفكر والأدب لا يقيمان الأود ولا يضمنان لأصحابهما حياة كريمة ، فلا بد من الوظيفة ولا بد من الحرص على الوظيفةحفظا للكرامة والستر .

ونحن هنا لا نسوق القضية وعكسها ، ولا نطرح فكرة ومبررات التخلى عنها ، ولكنه واقع الحال الذى دفع من اجله طه حسين نفسه الكثير ابان أزمته فى الجامعة وطردها منها وتضييق اسباب الرزق عليه

الى درجة انه لم يكن يجد ثمن الدواء ، مما دفع به الى التفكير فى الانتحار لولا ان فتحت الصحف ابوابها أمامه مما حافظ على كرامته وحفظ لـــه قدراً من الستر لنفسه واسرته حتى لا يمد يده أو يتنازل عن افكار آمن بها ، ومبادىء لا يفرط فيها .

انه الضعف الانسانى الذى يجعل الانسان يحرص على مصدر لقمة عيشه ، اكثر من حرصه على نصرة صديق فى محنته حين يجد أن تلك النصرة قد تؤثر على مصدر هذا الرزق أو تقطعه ، حتى لو كان هـــذا الانسان أديبا مفكراً ، ولعل هذا البعد الانسانى هو الذى جعل طـــه حسين بعد حوالى عشر سنوات من موقف صديقه معه ، ينسى له هذا الموقف السلبى او يتناساه ، او يتظاهر بذلك على الأقل ، وان كـــانت مواقف طـــه حسين مع توفيق الحكيم قد دلت على روح عاليـــة لمثقف كبير ، ويكفينا هذا الموقف الأخير ، فلم نجد طـــه حسين من قبل أو من بعد قد سمح لنفسه أن يعرض مقالا كتبه على أحد خاصة اذا كان مـــن الأدباء لابداء رايه فيه ، كما فعل مع توفيق الحكيم .

ولو اقتربنا أكثر من معرفة طبيعة المقال الذى تردد طـــه حسين فى نشره ، فعرضه على صديقه ليقطع له فيه برأى ، لاكتشفنا أن طـــه حسين كان حريصاً على عدم الاساءة الى الأشخاص لأنه وان كان قـــد هاجم بعضهم فليس ذلك لخصومة شخصية ، وانما لخصومة أدبية أو انتقاداً لمواقف لم تعجبه ووجد من اصحابها نكوصاً عن مبدأ أو اهدار لقيمة نبيلة ، وهو ما فعله مع توفيق الحكيم الذى افترض انـــه كمثقف سيقف بجوار زميله المثقف ، فضلا عن أنه صديق شخصى له ، وهـــو ما لم يجـــده مما احـــزنه ، وهـــو موقف لم ينســـه كعـــادته ، وان لم يتوقـــف امامـــه كثيـــرا ليجعـــله مقياســـا لمستقبـــل تعـــامله مـــع صديقه ، فقد تعامل مع موقف توفيق الحكيم فى اطار زمانه ومكانه ، ثم نسيه موضوعيا أو على الأقل لم يشعر صديقه به كذنب يذكره له ويطارده به ، ولكنه عامله معاملة صديق قديم ، له مثل ما « لكل عالم هفوة ولكل جواد كبوه » ، بل قد احسن معاملته كما لم يحســـنها من قبل حـــين استشاره فى امكانية نشر مقال تعرض فيه لبعض الأشخاص الذين ستر

اسماءهم ، وهى طريقة كان يلجأ اليها طــه حسين حين كان يريد الكتابة من اشخاص بعينهم فيشير اليهم دون أن يسميهم ، او يجعلهم فى صورة حيوانات او طيور ، كل حسب طبيعته وصفاته التى تقترب من طبيعــة او صفات هذا الحيوان أو ذلك الطير .

ويجيبه توفيق الحكيم بخطاب يريحه ويخفف من حساسيته الزائدة ، كما سنكتشف ايضا فى هذا الخطاب أن توفيق الحكيم الخائف دائما من ركوب الطائرات قد ابدى عزمه على ركوبها على طريقة « مجبر أخاك لا بطل » ، والسبب الذى اجبره على ذلك هو حرصه على حضور لحظة ميلاد طفل له أخبر انه على وشك الخروج الى الحياة ، والطفل لم يكن يهم توفيق الحكيم فى كثير أو قليل لأنه لم يكن راغبا بعد زواجه من مطلقة لها طفلتان ، أن يكون له ابناء ، معتبراً بروح الفنان أن هاتان الطفلتان كابنتاه ، فما الداعى لأطفال جدد ، خاصة وانه اشترط على زوجتــه الا تنجب اولاداً فقد كان يحس كفنان أن لديه مهام أخرى غير تربيــة الأطفال ، وساعده على تحقيق هذا المطلب أن زوجته كانت مصــابة باعوجاج فى الرحم ، ولذلك كان مطمئنا الى عدم حملها ، ولكن بعد شهور قليلة ظهرت على زوجته اعراض الحمل والوحم ، وقال لها الطبيب ان الرحم قد عاد الى وضعه الطبيعى ، وحدث الحمل :

ورغم ضيق توفيق الحكيم الا انه خجل أن يصــدم زوجته ويمس احساسها اذا طلب منها ان تسقط الحمل ، ورزقه الله باسماعيل فجر ٢٤ مارس ١٩٤٧ (*) .

ولكن الأمر لم يتوقف عند « اسماعيل » ، فقد حملت زوجة توفيق الحكيم مرة اخرى ، وكان الحكيم مصمما هذه المرة على اجهاضها ، ولكنه تراجع بعد ان تأمل وفكر ان وقوفه ضد ارادة الله لن يعود عليــه الا بالخسران ، آخذاً عبرة وعظة حين اطمأن الى اعوجاج رحم زوجته فماذا

---

(*) لمزيد من التفاصيل راجع كتاب المؤلف « رسائل خاصة جدا » ـ كتاب اليوم ـ مؤسسة اخبار اليوم .

به ، بقدرة الله يعتدل . فليس الأمر بارادتنا ولكنه بارادة الله (*) ، وجاءت ( ابنته ) التى كانت خير عون له فى السنوات الأخيرة من حياته حيث كان احوج ما يكون الى ذلك العون خاصة بعد رحيل ابنه ( اسماعيل ) ، وهـو ما يكشف عن الحكمة البالغة لانجـاب ابنتـه التى لم يكـن راضياً عن انجابها ، فماذا هى التى تبقى له انيساً ونيساً فى شيخوخته بعد أن فقد الزوجة والولد ، وكان المولود المنتظر الذى تحدث عنه توفيق الحكيم لطـه حسين فى رسالته ، هو « زينب » ، هذا الطفل الذى ابدى ضرورة عودته من اجله ، ليس الطفل فى حد ذاته ولكنها نظرة الفنان الذى يريد ان يتأمل جمال ما ابدع الفنان الأعظم والمبدع الأعظم الذى هو « الله » ، والذى يتضاءل امامه كل فن وكل ابداع بشرى ، وهو ما عبر عنه توفيق الحكيم فى رسالته التى يقول فيها لطـه حسين :

باريس فى ١٤ سبتمبر ١٩٤٩

صديقى العزيز

قرأت المقال الظريف ، بلـذة وسرور ، ولا أرى فى نشره بأساً .. فالأسماء مستورة .. وليس من السهل تمييز أصحابها ، ونصف اهل بلدنا ولله الحمد يخافون من ظلهم .. وانا اعرف فى مصر كثيرين ، يتجشمون تسلق الدرج المرتفع ، حتى تنقطـع أنفاسـهم ، ولا يأمنون استخدام المصعد .. لأنهم يعتقدون انه سينفلت من حباله ويسقط بهـم فى الأعماق .. أما انا فاقسم انى ما خفت المصعد قط يوماً .. لأنى أسكن فى اغلب احيان فى الطابق الأول ..

حضورى اليكم فى ساحل البحر ليس من الميسور ، لأنى فيما يبدو اركب السفينة من « مارسيليا » .. ولكنى قد اركب الطـائرة مـن باريس ! .. نعم الطائرة ! .. وهنا موضع الدهشة ! .. اهى شجاعة مفاجئة ..

لا اظن ذلك .. انما هى الضرورة .. ضرورة عودتى الى مصر قبيل افتتاح معرض باريس ، لأن معرضاً آخر سفتتح فى بيتى .. سترفـع

---

(*) لمزيد من التفاصيل ارجع الى كتاب ( الملف الشخصى لتوفيق الحكيم ) للمؤلف ـ دار المعارف.

فيه الطبيعة ستار الوجود عن مولود .. ان هذه اللحظة الأولى والصيحة الأولى لنور الحياة فيهما من الروعة ما ينسينا احيانا كل جمال الفن البشرى .. ذلك أننا هنا أمام فن الله ! ..

جعلت السجائر وخلافها فى حزمة وتركتها فى عهدة بواب « اللوتسيا » ... واتمنى لكم جميعا اقامة طيبة فى فرنسا ، وعودة سالمة غانمة الى مصر .. وارجو ان تكتبوا الى دائما بما يلزمكم ، وأسأل الله ان يجمعنا فى بلادنا على خير حال ، وأن يوفقنا هناك الى انجاز العمل الأدبى الذى تعاهدنا عليه ..

واحتراماتى للمدام وتحياتى للجميع مع أخلص تمنياتى ؟

توفيق الحكيم



# سجين الوزارة
# ومسجون دار الكتب

---

« قل لصاحبك انك موظف
حكومة ولا يجوز لك أن
تقذف في حق رئيس الحكومة
وأنني لست جميلاً . »

النحاس باشا

حين صار طه حسين وزيراً فى حكومة « الوفد » سنة ١٩٥٠ لم ينس صديقه توفيق الحكيم فى أول فرصة أتيحت له ليضعه فى منصب كبير يليق به .

فقد تحدث طـــه حسين الى ابراهيم فرج الوزير فى نفس الوزارة ، وصديق الاثنين ، فى أمر ترشيح توفيق الحكيم فى وظيفة « مدير دار الكتب» الشاغرة ، فزكى ابراهيم فرج هذا الترشيح ، وجعلته علاقته الوثيقـــة بمصطفى النحاس رئيس الوزراء ، يفاتحه فى هذا الموضـــوع ، فقال النحاس مازحاً :

كده .. توفيق الحكيم الذى شتمنا نعينه ونكافئه بالمنصب !

فقال له ابراهيم فرج : انه فخر لك أن تعين من شتمك ، مديراً لدار الكتب ، واى مدير هو .. انه اكبر مستوى فكرى يتولاها بعد لطفى السيد. ضحك النحاس وقال : انه فعلا يستحق المنصب (*) !

★ ★ ★

ولما كان مصطفى النحاس يطلق عليه لقب « الزعيم الجليل » فقد كتب عنه توفيق الحكيم فى « شجرة الحكم » واطلق عليه لقب « الزعيم الجميل » ، وأدار معه حواراً مسرحياً بينه وبين صاحب صاحب المعالى « مكرم عبيد » ، على أساس أن يترك النحاس الحـــكم ليكون « زعيم الأمة » ، ولكن صاحب المعالى نصحه بعدم تصديق هذا الكلام لأن الزعيم الذى يترك الحكم فى بلادنا يصبح وضعه أشبه « بالقفاز » الجامد الذى انسحبت منه الأصابع ، والأصابع هى الحكم والسلطة ، اما القفاز فهو المبادىء وبرامج الحكم .

ولم يغضب مصطفى النحاس وانما تأثر بعض الشىء من استخدام تعبير « الزعيم الجميل » .

وقال « لابراهيم فرج » ( وهو زميل قديم لتوفيق الحكيم منذ مدرسة الحقوق ) : قل لصاحبك انك موظف حكومة ولا يحق لك أن تقذف فى حق رئيس الحكومة لأننى لست جميلا .

(★) من حديث ابراهيم فرج سكرتير حزب الوفد للمؤلف فى ١٩٨٨/١/٢٦ .

غير ان النحاس باشا قد تضايق فعلا عندما كتب توفيق الحكيم فى « الأهرام » عن « الخواتم المزيفة » مشيراً فيها الى ان الاحزاب القائمة فى البلد كلها مزيفة .

وكان ذلك على اثر فوز مصطفى النحاس فى الانتخابات بالأغلبية ، وتكليفه برئاسة الوزراء ، وصرح النحاس باشا وهو يرأس الجلســة الأولى لمجلس الوزراء : يقول عنا اننا مزيفون مع اننا فزنا بثقة الأمة .. فكيف يقول الحكيم هذا ويساوينا بحزب الأقلية الفاشل ؟!

★ ★ ★

وكان « انطون الجميل » رئيس تحرير « الأهرام » آنذاك ، شخصية ماكرة كما يصفه توفيق الحكيم نفسه ، فنشر المقال فى مكان بارز لفت اليه الأنظار واهاج النحاس الذى راح يصيح فى مجلس الوزراء :

يقول اننا مزيفون ؟ نحن مزيفون ؟ فليقل ذلك عن الحزبين الساقطين الآخرين .. اما « الوفد » الذى خرج من الانتخابات فائزا هذا الفوز الساحق .. كيف يقول عنهانه مزيف ؟ ومن الذى يقول ذلك ؟ موظف رسمى هو مدير الارشاد والدعاية للحكومة !! .

ونهض احد الوزراء يسال :

كيف مر هذا المقال ؟

ومن هو مدير المطبوعات المسئول عن مراقبة النشر .. ( كان الوقت زمن الحرب العالمية الثانية ) .

وكان المسئول عن المطبوعات آنذاك هو الأديب « محمد فريـــد ابو حديد » فسالوه ، فاجاب : ان المقال عمل ادبى .

فسخروا منه ، وقالوا عنه انه هو ايضا اديب ولا يفهم فى السياسة ، ونقلوه من منصبه كمدير للمطبوعات ، وكان توفيق الحكيم ايضا مهدداً

بالنقل من منصبه « كمدير للارشاد والدعاية » بوزارة الشئون الاجتماعية، وقد جرى كلام فى احدى جلسات مجلس الوزراء حول هذا المدير الذى من واجبه الاشادة بالحكومة فاذا به يقول عنها انها مزيفة ، وأخذ أعضاء الحكومة فى هذه الجلسة يتداولون فى الوظيفة التى ينقل اليها توفيق الحكيم ، واشترط النحاس باشا بطبيعته المعروفة عدم المساس بالمرتب والدرجة ، وجعل كل وزير يفكر ، وأخيراً تكلم احد الوزراء ، وكان مشهوراً بأنه « ابن نكتة » ، وهو نجيب الهلالى باشا ، مصرحاً بأنه وجد الوظيفة المناسبة :

فصاحوا كلهم : وما هى ؟

فأجابهم : وظيفة فيها كل الشروط : نفس المرتب ونفس الدرجة ، ومناسبة له هو بالذات تماماً .

فلما سألوه عنها اجاب بكل جدية : وظيفة باشكاتب مستشفى المجاذيب ! .

واعتبروها نكتة ، وانتهت مناقشة موضوع نقل توفيق الحكيم عقاباً له على طول لسانه على الوفد وحكومته ورئيس وزرائه ، عند هذا الحد، حتى صارت وظيفة مدير دار الكتب شاغرة ، فرشح وزير المعارف د. طه حسين ، توفيق الحكيم ليشغلها ، وعرض الأمر فى اجتماع لمجلس الوزراء ، فوجم اكثر الوزراء ، وهم يظنون أن النحاس باشا ، سوف يثور على وزير المعارف الذى يرشح له كاتبا سبق أن هاجمه اكثر مرة ليرقيه من موظف درجة ثالثة الى مدير عام بدرجة وكيل وزارة ، فاذا بالوزراء الواجمون تزداد دهشتهم وهم يرون رئيس الوزراء يوافق بكل سرور على « توفيق الحكيم مديراً لدار الكتب » ، وهو يقول :

ان هذا تشريف للجامعة ( اشارة الى ممثلها طه حسين صاحب الترشيح ) وليس تشريفاً لتوفيق الحكيم .



صار طـــه حسين وزيراً للمعارف ، ونال الباشوية واصبح « طـــه حسين باشا » ، وصار «توفيق الحكيم مديراً لدار الكتب » .

وفى صيف ١٩٥١ اعد طـــه حسين عدته كعادته لقضاء الصيف ، وأسرته فى مصيف من المصايف ، وقد ذهب توفيق الحكيم لتوديعه فى السفينة قبيل ابحارها ، وحاول طـــه حسين اقناعه بالسفر معه الى المصيف ، ولكن ظروف توفيق الحكيم لم تكن تسمح له بمغادرة مصر رغم قيظها الشديد ، وافترقا الصديقان ، ولم تنقطع خطابات كل منهما عن الآخر .

ولما كانت كتب توفيق الحكيم تترجم الى اللغات الأجنبية ومنها اللغة الفرنسية ، فقد كان من الطبيعى اذا سافر طـــه حسين الى فرنسا أن يتابع له ما يتعلق بهذا الأمر ، ولما كانت « يوميات نائب فى الأرياف » احد هذه الكتب المترجمة والمنشورة بالفرنسية فى أكثر من طبعـــة ، وما يترتب على ذلك من حقوق مادية للمؤلف حين ينشر ابداعه على أى نحو من الأنحاء ، فقد احتفظ طـــه حسين لصديقه بهذه المستحقات التى فيما يبدو أن الناشر قد أودعها لديه لمعرفته بالصـــلات الوثيقـــة بين الصديقين الكبيرين ، ولم يكد توفيق الحكيم يعلم بأمر هذه المستحقات حتى أرسل لطـــه حسين خطابا عاجلا بالفرنسية يطلب منه الاسراع بها اليه ، ويوضح له السبيل الى ذلك ، فيقول فى :

١٩٥١/٦/٢٦

القاهرة

٣٣ شارع القصر العينى

جاردن سيتى

سيدى

علمت عن طريق السيد / اتياميـل ان لى طرفـكم رصيد بخمس وعشرين الف فرنك فرنسى حق نشراجزاء من كتابى « يوميات نائب فى الأرياف » .

ولتسهيل السداد ، اقترح أن تدفعوا هذا المبلغ الى الأستاذ / فريد شحاته .

وانى لأشكركم بشدة .

وتفضلوا بقبول خالص التحية ؟

توفيق الحكيم

★ ★ ★

ولما كان طه حسين لا يستقر أحياناً فى مصيف واحد ، فانه فى هذه السنة ( ١٩٥١ ) قد انتقل من باريس الى ايطاليا ، ومن هناك كتب رسالة الى توفيق الحكيم ( نشرها الأخير ) ولكننا سنشير الى بعض مقتطفات منها لنربط بينها وبين رد توفيق الحكيم على طه حسين .

يقول طه حسين فى رسالته المؤرخة فى ٢٨ يوليو ١٩٥١ ما يفيد شوقه اليه « فقد مضت أيام كثيرة طويلة منذ افترقنا ولكنا نذكرك فنطيل ذكرك ، وأذكرك حين أخلو الى نفسى فأطيل ذكرك أيضاً . فأنت بعيد قريب » .

ثم يذكره بأيامهما فى المصيف على جبال فرنسا وما أسفر عنه ذلك اللقاء من كتاب « القصر المسحور » ويحدثه عن المكان الذى يصطاف فيه ، ويغريه بوجود مكان جيد صالح ليمارس فيه هوايته فى الصيد ، مع وجود قهوة تصلح ليمارس فيها كتابته ، يغريه بذلك ثم يرثى لحاله كسجين فى « دار الكتب » « ولا يعفيك من قيظ الصيف الا هذا الهواء المصطنع الذى يصنعه الانسان بقدرته الضيقة ولا تصنعه الطبيعة بقدرتها التى اطلقها الله اطلاقا » .

ثم لا يعفى طه حسين نفسه من الرثاء ، فالحرية التى يتمتع بها محدودة لها أول ، ولها انتهاء ليعود بعد ذلك « سجين الوزارة أو سجين الدار » .

ثم يصف طـــه حسين لصديقه كيف يقضى صيفه فى القراءة هذا العام ، ومما يقرؤه بعض الكتب عن الأندلس وادبائها ، ويعترف فى تواضع العلماء العظام بأن « علمى بالأدب العربى الأندلسى ضئيل متواضع » .

فلم يكن طـــه حسين على اتساع ثقافاته يرى انه كعميـــد للأدب العربى قد احاط بكل الأدب العربى فى مختلف بيئاته وأوطانه .

ثم يسأل طـــه ، الحكيم : عن حاله وحال الأدب معه ، وكيف احتمل القيظ ، ثم يطلب منه ان يكتب اليه متمنياً له « خير ما احب لك من صحة وعافية وراحة نفس وفراغ بال ورضى ضمير » .

وكان تعليق توفيق الحكيم على هذه الرسالة التى ارسلها اليه صديقه كوزير مسئول يدل على ان طه حسين لا تغيره المناصب ، فيقول « ومن رسالة طـــه حسين هذه ندرك أن مشاعره كانت مشاعر الأديب الطلق الروح وليست مشاعر الوزير المقيد المغلق » .

★ ★ ★

وقد حركت رسالة طـــه حسين ، توفيق الحكيم ليكتب ردا مطولا فى ست صفحات من القطع الصغير يشكو فيه حال الأديب فى مصر والذى لا شىء يحميه الا انتسابه للصحافة حتى بات الخلط واضحاً بين الأديب والصحفى ، ثم يتحدث عن نشاطه كمدير بدار الكتب والتى نلمح مـــن خلالها لأول مرة ملمحاً من ملامح شخصيته الادارية أشرف على اخراج كتب الأدباء الأقدمين قائلا فى سخرية « لست اليوم بمؤلف ولكنى مخرج!» على ان اهم قضية فى الرسالة هى قضية « تفكك المثقفـــين » وغياب دورهم ، الذى انعكس فى أزمات مر بها الصديقين .

ولنقرأ نص رسالة الحكيم التى تحمل روحه الساخرة التى انعكست على كل مؤلفاته :

القاهرة فى ٦ اغسطس ١٩٥١

صديقى الجليل

ما اسعدنى بذلك الخطاب الذى تفضلت فارسلته مع الطائرة والنسيم من شمال ايطاليا ليلحق بى فى ميدان باب الخلق ( حيث دار الكتب ) .. وافانى بعبيره اللطيف وتعبيره الجميل فى وقت الظهيرة بالضـــبط .. عرفت ذلك لا من اشتداد القيظ ولا من دقات الساعة ، ولكن من رائحة الشنواء تصعد الى نافذتى ، على العادة فى مثل ذلك الوقت ، مـــن « كبابجى الكتبخانة » .. !

وهذا المطعم ليس بلطبع تابعاً للدار . فما هو غير واحـــد مـــن عشرات المحال والحوانيت التى تحمل اسم دارنا العتيدة . فهذا حلاق « دار الكتب » وهذا طرابيشي دار الكتب .. وهذه صيدلية دار الكتب .. وهذه قهوة دار الكتب .. الخ .. الخ .

فدار الكتب كما لاحظت مع العجب والاعجاب لها شخصيتها الفريدة فى ذلك المكان .. على نقيض جارتها وشريكتها فى البناء واعنى دار الآثار .. فهى مع التصاقها بدار الكتب من قديم .. منذ نحو نصف قرن من الزمان لا يكاد يعترف بوجودها أحد من اهل الحى أو تجار الميدان . فما رأيت قط حانوتاً يحمل اسم دار الآثار حتى ولا حانوت كباب ! ..

هذه الجارة المغمورة الحائرة قد آن لها أن تترك لنا حيزها الضيق نتنفس نحن فيه ، وتسعى هى الى حظ أوفر وشهرة أوسع فى حى آخر ! ..

على أن لدار الكتب ذكريات أدبية تروى كما تروى الأساطير عن حافظ ابراهيم يوم كان وكيلا لها واتخاذه مقراً لعمله الرسمى وغير الرسمى تلك القهوة التى تحمل اسمها .. يجتمع فيها باخوانه من أدباء العصر البوهيميين أمثال امام العبد ،والبشرى ..

كان حى باب الخلق فيما أرى .. « مونمارتر » (*) أدبـــاء مصر وشعرائها ! هل لنا أن نتحسر على ذلك العهد ؟ أو أن من الخير للأدب والأدباء أن تقوم بينهم الحواجز القائمة اليوم فلا لقـــاء ولا مراسلـــة ولا تعاون ولا تساند ..

---

(★) حى أدبى فى باريس .

وهل يستطيع الأدب الفرنسى مثلا أن يبلغ مكانته هذه بغير هـــذه الدولة التى استطاع أن ينشئها لنفسه ؟

أن دولة الأدب الفرنسى كيان ذو خطر فى قلب الأمة الفرنسية . دولة معنوية روحية لها تقاليدها وحقوقها وواجباتها . فهى حاملة الثروة الفكرية القومية من جيل الى جيل . لذلك نسمع فيها دائما رنين عملتها التى لا تقوم بذهب ! فمحافظو هذا المصرف الخالد وسدنته وحراســه ينتهزون كل فرصة لمراجعة رصيدهم .. ما من اديب أو مفكر أو شاعر يمضى على وفاته أو ميلاده مدة حتى يجتمع الأدباء فى النوادى والجمعيات بل احياناً فى المقاهى والمطاعم يذكرونه ويعددون أعماله .. بل انهـــم احياناً يجتمعون للاحتفال بمرور كذا من الأعوام على ظهور هذا الكتاب أو ذلك الأثر .. مما يرونه قد أضاف ثروة الى ادبهم القديم أو المعاصر . بمثل الاجتماع وهذا التنظيم استطاع الأدب فى فرنسا وفى انجلترا وفى المانيا وغيرها من الأمم ذات الثقافة الممتازة أن يكون له وجود قائم بذاته غير متعلق بأذيال الصحافة .

اما فى مصر فالأدب الذى كاد ينجح منذ ربع قرن فى تكوين شخصيته المستقلة المرموقة بالتقدير والاحترام قد تفككت اليوم حلقاته وتشتتت جمـــوعه ، لم يجـــد له هيئة ينتسب اليها غـــير الصحفيين لقـــوتهم وتساندهم وتجمعهم تحت سقف نقابة وبيت . حتى أصبحنا واذا الناس لا يفرقون فى مصر اليوم بين الأديب والصحفى ؟

ويا لها من كارثة ! .. نعم هى كارثة لا بد لها من درس وبحث وعمل حاسم .. ومن الخير المبادرة بالتفكير فى بعث نادى القلم وتنظيمه على أساس جديد ! .

اما عن حالى فهو مستغرق كله فى عملى بدار الكتب . كل همى هو علاج ذلك الأمر الذى يدهشنى ويدهش الكثيرين : البطء فى اخـــراج الأغانى (*) .. فالجزء الثانى عشر لم يظهر منذ تسع سنـــوات .. لماذا ؟ لأن كل جزء يعهد به الى مصحح واحد .. ويكفى أن يكسل هذا المصحح ليكسل معه كل مصححى الأجزاء الأخرى ، انتظاراً لنشاطه . فاذا سألنا من يحقق الجزء الرابع عشر عن عمله ؟ قال :

---

(*) الاغانى للاصفهانى .

وهل انتهيتم ممن قبلى .. ومن قبله يقول ذلك عمن قبله .. وهكذا وهكذا ، ولم ار بدا لعلاج ذلك من ان الجأ الى طريقة « توسكانينى » فى التدريبات الموسيقية .. كان يحمل فى آن واحد كل مجموعة على اجادة ادائها . فالآلات الوترية والآلات النافخة ، والآلات النحاسية ..

كل مجموعة منها يجب أن تتدرب على العمل فى نفس الوقت .. كذلك قسمت المصححين الى مجموعات .. كل مجموعةمسئولة عن انجاز جزء تحت اشراف مراجع ..

وبهذه الطريقة آمل أن يخرج للناس فى الشتاء القادم باذن الله ثلاثة اجزاء من الاغانى دفعة واحدة .. هذا فضلا عن ظهور المصحف الشريف ، والجزء الأول من فهرس مصر ، وفهرس المخطوطات ، ومؤلفات اخرى ذات قيمة .

أما عن عملى انا فلا شيء .. لا لأن الوقت يعوزنى . بل لأن الذى يعوزنى هو الجو ! لا يوجد فى مصر الآن ما يمكن أن يسمى بالجو الأدبى .. لدينا الجو السياسى ، والجو الصحفى ، والجو الغنائى والسينمائى .. أما الجو الأدبى فمن الفتور — أن وجد — بحيث يعجز عن اثارة النشاط وبعث الهمم . لا فقط من الناحية المعنوية بل من الناحية المادية ايضا . فما من ناشر الآن يقدم على شراء كتاب .

ان الكتاب المصرى ايضا فى خطر ، فهو بالطبع تابع للأدب . وازمة هذا من ذاك .. باستثناء تلك البدعة الجديدة التى ظهرت الآن ويسمونها الكتاب الشهرى . وهى سلسلة كتب صغيرة تصدرها دور الصحف الكبرى ، متعقبة الأدب والأدباء لتقضى على آخر مظهر لاستقلالهم وهو الكتاب ! ..

نعم .. لا اجد متعة الآن فى اخراج كتب لى ، ولكنى اجد المتعة فى اخراج كتب لآخرين .. وان كانوا من الأدباء الاقدمين . لست اليوم بمؤلف ولكنى مخرج ! وعلى ذكر الاخراج ننتظر عودة معاليك لبحث المشروعات السينمائية ..

وفى الختام ارجو لكم وللسيدة الكريمة وللؤنس أوفر صحة وأتم عافية واكمل هناء وصفاء وسرور ، والله اسال أن يمتعنا بعودتكم الميمونة قريباً .

ولكم منى ومن الوطن الذى ينزلكم أسمى منزلة من تقديره ، أصدق التحية واعمق الود واخلص الاجلال .

توفيق الحكيم



# ثورة يوليو
## بين
# طه حسين وتوفيق الحكيم

---

• « نفسي ليست مستقرة ..
جثماني في إيطاليا ونفسي
في مصر . »

طه حسين

• « كل شيء في رأسي ونفسي
مضطرب ثائر .. وإني لأفكر في
كل شيء كما لو كنت أنا المنوط به
حل الأمور .. »

توفيق الحكيم

( ١ )

لم يستمر طــه حسين وزيراً للمعارف كثيراً وان ترك فيها أثراً بعيداً ، فقد تلاحقت الأحداث منذ حريق القاهرة حتى قيام الثورة ، فكان طــه حسين يصطاف فى « البندقية » بايطاليا ، بينما كان توفيق الحكيم فى القاهرة للصيف الثانى على التوالى ، فلم يزل « مديراً لدار الكتب » التى استمر بها حتى سنة ١٩٥٨ ، بينما كان طــه حســين خارج الوزارة منذ يناير ١٩٥٢ حين خرجت الحكومة نفسها فى مثل هذا التاريخ عقب احراق القاهرة ، ثم تتابعت بعدها عدة حكومات افلتت معها الاستقرار فى مصر ، مما كان أحد اسباب التعجيل بثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، ولا شك أن كتاب مصر وأدبائها ومفكريها كانوا على موعد مع هذه الثورة لأنهم الذين بشروا بها ودعوا اليها ومهدوا لقيامها ســواء بالرمز والتلميح أو بالجهر والعلانية ، فقد بلغ فساد الحكم مداه ولم يعد هناك مفر من الثورة ، أو « العاصفة المباركة » التى نادى بها توفيق الحكيم ، وان كان طه حسين أكثر أدباء جيله وعيا بما يجب أن يحــدث حين كتب « المعذبون فى الأرض » ، حيث أعتبر الكتاب فى حد ذاتــه ثورة ، وتمت مصادرته ولم يفرج عنه الا بعد الثورة التى جاءت « كالفجر الصادق » كما وصفها طــه حسين نفسه .

وسوف نتلقى الأصداء الأولى للثورة عند طــه حسين وتوفيــق الحكيم من خلال رسالتين متبادلتين ، لسنا فى حاجة الى اعادة نشرهما لأنهما منشورتين بالفعل (*) ، ولكن سنشير الى مضمونهما من بـــاب

(*) رسالة طه حسين فى كتاب « وثائق من كواليس الادباء » لتوفيق الحــكيم ( كتاب اليوم ) ، ورسالة توفيق الحكيم فى كتاب « طه حسين ومعاصروه » لنبيل فرج ( دار الهلال ) .

المقارنة بين موقفين لأديبين كبيرين طالبا وبشرا بالثورة ثم كانا نجمين من نجومها المكرمين .

فاذا كان توفيق الحكيم فى كتابه « شجرة الحكم » ١٩٤٥ قد تنبأ « بالعاصفة المباركة » لاصلاح الفساد ، ثم دعا فى نهاية الأمــر الى ضرورة « احداث الثورة المباركة ، التى تقيم الوطن على اقدام الصحة والقوة والنظام » .

واذا كان توفيق الحكيم قد ساهم فى صنع فكر صاحب الثورة من خلال كتابه « عودة الروح » ١٩٣٣ ، والذى أعترف عبد الناصر نفسه بتأثره به حيث ساهم فى تكوينه الفكرى والوطنى ، حيث بشرت « عودة الروح » بالثورة المرتقبة وبالزعيم المعبود ، مما جعل عبد الناصر يشعر فى قرارة نفسه انه هو ذلك الزعيم المنتظر .

فان طه حسين فى كتاباته المتعددة :

« جنة الشــوك »

« جنة الحيــوان »

« مرآة الضمير الحديث »

« أحــلام شهرزاد »

« المعذبون فى الأرض »

كان يحرص على الثورة ويدعو اليها ، ولذلك حين قامت الثورة كانت فكرتها وجوهرها واضحتان لديه كل الوضوح ، ففى استفتاء اجرته مجلة « الهلال » فى عدد اول ديسمبر ١٩٥٢ ( اى بعد حوالى اربعة شهور من قيام الثورة ) حول « أدب النهضة الجديدة » سنجد أن عباس محمود العقاد ، يتحدث عن الثورة باسم :

« الانقلاب الجديد »

وتوفيق الحكيم نفسه يسميها هو ايضاً « الانقلاب الجديد » ، على الرغم من أنه صاحب تعبير « العاصفــة المباركــة » ، و « الثورة المباركة » ، قبل قيامها بسنوات فى كتابه المشار اليه .

أما طـــه حسين فقد كان اكثر تحديداً لأنه كان أكثر فهما ووعيـــا بالأحداث الجديدة فسماها « الثورة » ، لا يقولها عفواً ولكنه يقصدها قصداً لغة ومضموناً وهدفاً ، حين يكررها غير معترف بتسمية أخرى دونها ، ويمكننا ان نلاحظ عمق معنى كلمة « الثورة » ومدلولها فى أول رد فعل لطـــه حسين على قيام الثورة حين أرسل لصديقه توفيق الحكيم من مصيفه بايطاليا رسالة بعد احد عشر يوما فقط من قيامها مبينا أن الادب هو الذى هيأ الأمور للثورة كى تقوم ، وسيكون له اثره فى التعبير عنها بعد قيامها .

يقول طـــه حسين فى رسالته المؤرخة بالثالث من اغسطس ١٩٥٢ :

● كم كنت أحب ان اكون معك فى مصر او ان تكون معى فى اوربا اثناء هذه الأيام التى تنشر فيها مصر من تاريخها كتابا وتطوى كتابا .

● خيل الى ان للأدب حقه فى هذه الثورة الرائعـــة هيأها لها قبل أن تكون وسيصورها بعد أن كانت .

● نفسى ليست مستقرة . جثمانى فى ايطاليا ونفسى فى مصر .

★ ★ ★

اماتوفيق الحكيم فيظهر أول رد فعل له فى خطابه الذى رد بـــه على طـــه حسين ، وفيه يعترف بانه يعيش احداث الثورة « كمواطن مصرى ، ولكنه مع ذلك « مضطرب ثائر » ، أما كاديب فهو لا يستطيع أن يكتب شيئاً قبل أن يستوعب ما جرى وما يجرى من احداث متلاحقة، فيقول فى رسالته الى طـــه حسين :

● ان احداث مصر قد شغلتنا عن الحر والشعور بوطأته . وهى احداث أجل من ان توصف فى خطاب . بل انى ارى الأدب عاجزاً عن تسجيل تلاحقها السريع .

● ان كل شيء في راسي ونفسي مضطرب ثائر .. واني لافكر في كل شيء كما لو كنت أنا المنوط به حل الأمور .. فانا أعيش حياة بلادي الآن كما يعيشها المواطن الصالح .

● اعيشها كانسان .. وكمصرى ، وارجو ان أعيشها مرة اخرى كاديب عندما يكتمل لى استيعاب اكثر نواحيها .

★ ★ ★

لقد استقبل الأديبين الكبيرين « ثورة يوليو » استقبال المنتظر لها المترقب لحدوثها ، المتوقع لقيامها ، حتى اذا قامت بالفعل حدث لكل من الأديبين ، القلق والاضطراب ، فطـه حسين « نفسى ليست مستقرة »، وتوفيق الحكيم « كل شيء في راسي ونفسي مضطرب ثائر » !

ففيم الاضطراب والقلق وعدم الاستقرار في النفوس والرءوس ، اليست هذه هي الثورة التى بشرا بها ودعيا اليها ومهدا لقيامها بادبهما مع من مهدوا لقيامها من الأدباء ، فلماذا القلق والاضطراب ، هل كانا يتوقعان ثورة شعبية كثورة ١٩١٩ ، ثم فوجئا بها ثورة عسكرية فحدث لهما القلق وعدم الاستقرار خاصة وان ذكرى ثورة عرابى لا تزال مأساتها ماثلة في الأذهان ، قلق من الثورة ؟ أم قلق على الثورة ؟ أم هو قـلق من الثورة على الثورة بما سوف تسفر عنه من نتائج لا احد يعلم الى ماسوف تؤدى اليه خاصة أن القائمين عيلها مجموعة من الشباب العسكريين الذين تنقصهم الخبرة كما تنقصهم الحكمة ؟ وهل نستطيع أن نفسر قلق الأديبين الكبيرين بلجوء أحدهما فيما بعد الى الفن كتوفيق الحكيم ، ولجوء الآخر الى الصمت ، أو الحوار مع قائد الثورة كطه حسين ؟

فقد لجأ توفيق الحكيم الى الفن فكتب « السلطان الحائر » محبذاً سيادة سلطان «القانون » على سيادة سلطان « السيف » ، كرسالة الى قائد الثورة مغلفة بغلاف فنى علة يختار طريق « القانون » ، كما كتب توفيق الحكيم « بنك القلق » حول ضياع الهوية بين الاشتراكيـة والراسمالية .

اما طـــه حسين وان كان قد آثر الصمت أو المهادنة فانـــه كان يتحاور مع قائد الثورة ــ يقول ــ « وقد حدثته مرة فى الذين يعتقلون وتتعرض اسرهم لحياة عسرة . فقال لى : اطمئن اذا كان المعتقل موظفاً فمرتبه يصرف لأسرته دائما ، واذا لم يكن موظفاً فوزارة الأوقاف تكفل اسرته حتى تتاح له الحرية » (*) .

فهـل كان طـــه حسين يضحـك على الدولة بما يكتب ثقـــه منه فى ذكاء القارىء الذى يمكنه أن يدرك مقاصد طـــه من كتاباته التى لم يكشف فيها عن آرائه وانتقاداته صراحة بينما السطور وما بينها توضح وتصرح حتى لو كان قد انتقل بالزمان والمكان الى أيام صعاليك العرب ؟!

★ ★ ★

ايا كان الأمر فى مصدر القلق والاضطراب الذى حدث لطـــه حسين وتوفيق الحكيم كأول رد فعل لهما على قيام الثورة ، فان متابعة موقفيهما من الثورة منذ قيامها وحتى رحيل كلمنهما يقتضى بحثاً آخر يستند الى الوثائق والمراجع وشهادة الشهود لانصاف كلا منهما دون تحيز أو تجاوز للموضوعية ، مع الأخذ فى الاعتبار الا نطالبهما بأكثر مما يحتمل المفكر او يطيق البشر ، فليس من المتصور فيمن كان فى مثل سنهما ومكانتهمـــا ان يكونا من بين المعتقلين يجرى لهما ما يجرى على المعتقلين مما لم يعد سراً ، فحسبهما داعيين للثورة مبشرين بها ممهدين لها ضمن من مهدوا ، وليكن بعد ذلك لغير جيلهما دور آخر ، فليس مطلوباً منهما ان يقوما بكل ادوار البطولة ، فقد انقضى زمن عنترة ، وولى زمن ابو زيد الهلالى .

ليس هذا تبريراً ، ولكن يكفى أن يضع أحدنا نفسه مكانهما ويتصور موقفهما ، لقد ساهما بالفكر والأدب فى حدود دورهما فى التمهيد للثورة التى انتظرها كل المصريين ، ويكفيهما هذا الدور فخراً وشرفا لينتهى

---

(★) من كلمة طه حسين فى تابين عبد الناصر بمجمع اللغـة العربية صباح الاثنين ٥ اكتوبر ١٩٧٠ .

دورهما ، ويبدا بعد ذلك دور جديد لجيل جديد سيتمتع بايجابيات الثورة وعليه ان يواجه سلبياتها ، أما هما فقد زرعا الشجرة حتى اثمرت ، وعلى من يقطف الثمار ان يتحمل الأشواك او يتغلب عليها .

★ ★ ★

وقد كرمت الثورة الاديبين الكبيرين وعرفت لكل منهما حقه ، وقدرت لكل منهما مكانه ومكانته الأدبية ، فمنحتهما ارفع وسام من أوسمتها وهو « قلادة النيل » ، بل وابعد زعيم الثورة وزيراً للتعليم لم يقدر لتوفيق الحكيم حقه فأدرج اسمه ضمن قائمة المطلوب تطهيرهم فى حركة التطهير باعتباره ليس منتجا . موصيا باعفائه من منصبه كمدير لدار الكتب ، غير أن عبد الناصر اعفى الوزير نفسه ، وابقى على توفيق الحكيم .

( ٢ )

كان توفيق الحكيم حريصا كل الحرص على الا يجرح طــه حسين على الأقل فى حياته ، خاصة بعد أن استقرت صداقتهما على نحوهــا الوطيد مع نهاية الأربعينيات وما تلاها من سنوات .

فى حوارى مع توفيق الحكيم قال لى (*) :

ان يوسف السباعى عندما زارنى لأول مرة فى دار الكتب حينما كنته مديرها ، وعرض على فكرة انشاء نادى القصة ، أرادان أكــون أنا رئيسا لذلك النادى ، مع استبعاد طــه حسين وآخرين كمحمد حسين هيكل ، والعقاد ، بحجة انهم فى الأصل ليسوا قصاصين على الأقل فى نظر القراء خاصة انه فى ذلك الوقت كانت الرواية او القصة قد بدأت كتيار ادبى يصل الى الجمهور ويحس به ، ومع ان د. هيكل والعقاد وطــه حسين قد ساهموا فى القصة الروائية بنصيب الاانها لم ترتبط بهم أو تعتبر من اهتمامهم الأساسى المؤثر فى أجيال الشباب الذى يريد التفرغ للقصة ، فقد انشغل هؤلاء الأدباء عن ذلك بالسياســـة التى جرفتهم الى حد ما ، ولكننى مع ذلك رأيت ان نادى القصة الذى يزمع السباعى تأسيسه من الضرورى أن يضم كل الأجيال التى ســـاهمت فى تاريخ القصة المصرية ولو بعمل واحد ، ورفضت أن ادخل فى نادى أدبى لا يكون فيه طــه حسين بالذات ، مع الاعتذار عن رياسة النادى فى حالة وجــود طــه حسين الذى رشحته لرئاسته واكتفائى بأن أكون عضواً فيه .

---

(*) فى ٢٠ ديسمبر ١٩٨٦ .

وقد اخذ يوسف السباعى بفكرتى وعمل على تنفيذها بدقته المعهودة، ولكنه قابلنى بعد ذلك ليخبرنى بأن المشكلة مع بعض هؤلاء الأدباء الذين ذكرتهم تقوم على الحساسية عندهم من ناحية رياسة النادى ، فالعقاد يرفض الانضمام اذا عرف أن طـه حسين هو الرئيس ، وطـه حسين يعتذر اذا كان د. هيكل سيكون الرئيس ، ولذلك فقد اعتذر كلا من العقاد ود. هيكل عن الانضمام تفاديا للحرج قبل اعداد اللائحة أو القانون الذى سيسمى الرئيس والأعضاء » .

ويتذكر توفيق الحكيم واقعة اخرى حين تمت دعوته لزيارة « الاتحاد السوفيتى » لحضور مهرجان يحتفل بعيد ميلاد كاتبهم « مكسيم جوركى »، فاشترط الحكيم ألا يكون بمفرده واقترح اسم طـه حسين ، ولكنهم اعتذروا بحجة اشتراكه وزيرا فى العهد السابق ، واقترحوا بدلا منه « فكرى أباظة » .

وحاول توفيق الحكيم التهرب من تلبية هذه الدعوة ، فعندما جاءه فكرى اباظة لترتيب السفر اشترط عليه اخذ موافقة عبد الناصر ، لأن العلاقات مع السوفييت آنذاك لم تكن واضحة خلال الخمسينيات ، وجاءتهما موافقة عبد الناصر الذى رحب باختيارهما ، ومع ذلك لم يتم السفر ، فقد اتخذ توفيق الحكيم من توقيت السفر الذى تصادف مع فصل الشتاء حجة ، فقال لهم :

ان نابليون ذهب الى روسيا شتاء فانهزم ، فكيف أسافر انا فى نفس الوقت !!

★ ★ ★

ولا نعثر لطـه حسين وتوفيق الحكيم بعد ذلك على رسائل متبادلة بعد رسالتيهما المشار اليهما كاول رد فعل لقيام الثورة ، اللهم الا مرة واحدة فى صيف ١٩٥٤ ، فقد وصل توفيق الحكيم الى باريس حوالى منتصف يونيه من نفس العام بعد حضوره تمثيل مسرحيته « أهل الكهف » « بالايطالية » فى « بالرمو » ، فارسل الحكيم الى طـه الذى كان لا يزال بالقاهرة ، رسالة يخبره فيها بوجوده فى باريس ويطلب منه

الاتفاق على موعد ومكان اللقاء فى فرنسا ؛ ولكن رد طه حسين أبطأ فى الوصول ، مما جعل توفيق الحكيم يرحل عائداً الى مصر .

اما سبب ابطاء رد طه حسين على رسالة صديقه فقد اوضحها طه حسين فى رسالته الى الحكيم بتاريخ ٢٨ اغسطس ١٩٥٤ ، حيث لم يصله خطاب توفيق الحكيم الا وهو على جناح السفر ، وقد ظن انه سيلقاه فى باريس ، الا انه عندما وصلها ، وجد الحكيم قد تركها ، وفى نهاية رسالته المنشورة (*) يقول له :

( أرجوك أن تكون راضى النفس ناعم البال كثير الانتاج ، ولا تعتل بالحر فقد ينتج الحر ما لا ينتجه البرد ) .



ولا نجد بعد ذلك ما يدل على التقاء طه حسين وتوفيق الحكيم خارج مصر وان التقيا داخلها فى مناسبات مختلفة ، وان كانت مناسبة انضمام توفيق الحكيم الى مجمع اللغة العربية لها قصة تستحق أن تروى .

---

(★) فى ( وثائق من كواليس الادباء ) .

# خلاف على باب
# مجمع اللغة العربية

---

- « وقفناك ببابنا أكثر من عامين تنتظر أن نأذن لك، فلم نأذن لك إلا بعد أن أضناك الانتظار »

طه حسين

- « بقيت أنا على ابتعادي عن هذا المجمع إلى أن فوجئت في يوم من أيام شهر أبريل ١٩٥٤ بانتخابي عضواً في هذا المجمع . »

توفيق الحكيم

فى مسألة انضمام توفيق الحكيم الى مجمع اللغة العربية روايتان متناقضتان وكلتاهما رواهما طـــه حسين وتوفيق الحكيم ! .

رواية الحكيم اثبتها فى كتابه « وثائق من كواليس الادباء » ، ورواية طـــه حسين اثبتها فى كلمته بالجلسة العلنية التى عقدها المجمع فى ١٧ مايو ١٩٥٤ لاستقبال توفيق الحكيم والتى أصر طـــه حســين على أن يكون هو الذى يستقبله بكلمته ، مع أن المعتاد فى مثل هذه المناسبات طبقا لتقليد المجمع أن يكون الذى رشح العضو هو الذى يستقبله ، وكـــان الذى رشح توفيق الحكيم هو أحمد أمين او منصور فهمى ، ولكن طـــه حسين اتصل بالحكيم تليفونياً مبديا رغبته أن يكون هو فى استقباله ، نوافق الحكيم رغبة منه فى عدم جرح احساس صديقه حتى لا يكرر معه ، ما سبق ان حدث حين عرض عليه كتابة مقدمة الطبعة الثانية من « أهل الكهف » .

وفى كلمته قال طـــه حسين موجها كلامه الى توفيق الحكيم :

لست أدرى ايهما شرف بصاحبه ؟

اما انت فلا اشك فى انك شرفت بدخولك هذا المجمع ، فلا اقل من ان تعترف لنا باننا نشرف من يضم الينا ، ولا أدل على ذلك من انا وقفناك ببابنا اكثر من عامين تنتظر أن ناذن لك ، فلم ناذن لك الا بعد أن أطلت الانتظار ، ذلك بان الوصول الينا ليس يسيراً ولا سهلا .

واما نحن فقد شرفنا بانضمامك الينا . ليس فى هذا شك بحال من الاحوال » .

★ ★ ★

اما توفيق الحكيم فقد رفض أن يكون قد توقف بباب للمجمع منتظراً ، مؤكداً أنه كان يرفض اساساً دخول المجمع كعادته فى رفض التقيد باى حـــزب او هيئة .

يقول الحكيم فى روايته المناقضة لرواية طـــه حسين والتى صمت عنها حتى رحيله ربما لأنه لم يرد ان يجرحه ايضا :

« فى علم ١٩٤٩ أو ١٩٥٠ فيما أذكر أخبرنى صديقى أحمد أمين عضو المجمع اللغوى فى ذلك الوقت أنه بالاشتراك مع الدكتور منصور فهمى الأمين العلم للمجمع .. قد رشحانى لعضوية هذا المجمع . وذلك عمـــلا بالقواعد المتبعة للترشيح ، وهو أن يتقدم به اثنان من الأعضاء العاملين . فلم اكد اسمع منه حتى ثرت صائحاً فيه :

لماذا فعلتم ذلك ، ومن قال لكم انى أريد أن أكون عضوا فى المجمع ؟

وبهت احمد امين . وجعلت اوضح له وجهة نظرى .

وهى أنى فى الأدب كما فى السياسة لا أريد الانتماء الى هيئة ترغمنى على اتباع مبادئها ، فأنا حريص على أن أكون حراً أختار لنفسى اتجاهى .. ومجمع اللغة العربية وجد للمحافظة على الفصحى . وانا استخدم العامية احيانا فى كتاباتى ، واصطنع فى الأدب الاسلوب الذى اراه ملائما لنوع الفن الذى اعالجه دون التقيد بمذهب ثابت .

وذهب احمد امين وابلغ المجمع باعتذارى . وبدا الامتعاض — كما بلغنى — على وجه رئيسه أحمد لطفى السيد ، وقال بأسف : هذا كرسى يسعى اليه الكبراء والأمراء . ولام بعض الأعضاء احمد امين لانه ابلغنى بأمر هذا الترشيح . وقالوا له : ان هذا أمر يخص المجمع ، وكان الواجب أن يبقيه سراً .

ويضيف توفيق الحكيم :

وقد بقيت انا على ابتعادى كما ذكرت عن هذا المجمع الى أن فوجئت فى يوم من أيام شهر ابريل ١٩٥٤ بانتخابى عضواً فى هذا المجمع . وكان التكتم هذه المرة شديداً فلم تبلغنى اية اشارة الى سبق ترشيحى الا بعد تمام الانتخاب » .

واضطر توفيق الحكيم الى قبول ترشيحه عضواً ، ولكنه بعد ذلك لم يحضر جلساته ، وقدم استقالته منه فى أخريات سنوات حياته معللا ذلك بظروفه الصحية ، وان ميزانية المجمع لا تسمح له بالقيام بنشـــاط حقيقى مؤثر فى المجتمع .



ولم تخلو كلمة طـــه حسين فى استقبال توفيق الحكيم من رد فعـــل خاصة فيما يتعلق بكرم الحكيم وبخله ، فقد نفى عنه طـــه حسين صفة البخل قائلا له :

فانت تتكلف من الخصال ما ليس فيك : انت جواد وتزعم انك بخيل ( .... ) وكذلك صورت نفسك للناس بصورة ليس بينها وبين الحق من امرك صلة » .

وقد كرر طـــه حسين هذا المعنى حين كتب معلقا على سيرة توفيق الحكيم الذاتية « سجن العمر » ناشراً ذلك عـــلى العـــامة بعـــد ان اذاعه على الخاصة فى المجمع .

« ولست أصدق ما يردده دائما من انه يؤثر المال الى حد البخل به . لا اصدق ذلك لأننى جربت كرمه وسخاء يده فى البذل ، وقد قلت ذلك حين استقبلته فى المجمع اللغوى ، وان كان قد عتب على فى ذلك بعد انتهـــاء الجلسة معللا عتبه بأن هذا القول قد يطمع فيه الناس ويغرى به أصحاب الحاجات » !!

ولكن توفيق الحكيم ينفى ما قاله طـــه حسين فى كتابه « الاحاديث الأربعة » حين قال :

وقد تكلم طـــه حسين عنى منوها بكرمى ، ونافيا عنى صفة البخل التى الصقت بى ، وعلمت بعد ذلك انه أشـاع انى غضـــبت من كلمته لاعلانه انى كريم ! » .

فهل أراد طـــه حسين أن يرد لتوفيق الحكيم فعلته عندما رفـــض ترشيحه لعضوية المجمع حين ابلغه به احمد امين قبل عامين من انضمامه اليه ، فأراد طـــه حسين فى استقباله أن يعلن على الملأ ان المجمع لا ينتظر أحداً بل ان الكثيرين ينتظرون ببابه حتى يؤذن لهم بدخوله ، وان دخول المجمع تشريف لمن ينال عضويته . وكأنه بذلك يرد على اعتراض توفيق الحكيم على ترشيحه السابق ؟!

اما حكاية بخل الحكيم فلم تكن اكثر من مجرد نكته حين ضمنها طـــه كلمته فى استقبال صديقه حين كشف عن جوانب شاعت فى شخصيته

كجانب البخل ، وهى صفات غير حقيقية اطلقها الحكيم نفسه ، أو ترك لغيره أن يطلقها عليه دون محاولة منه لنفيها أو اثبات عكسها ، حتى صارت جزءاً من شخصيته المشهورة والمعروفة لدى الناس ، ولم يكن ذلك الا من باب الدعاية التى تصنع للأديب اسماً مقترناً بصفات معينة ، كما حدث بالنسبة لتوفيق الحكيم نفسه الذى اشتهر بأنه عـدو للمرأة بينما هو اكثر المحبين لها ، كما اشتهر بالبخل وهو ابعد ما يكون عنـه وهو ما أحس به طـه حسين ولمسه فى علاقته الشخصية به وكشف عنه فى كلمته المشار اليها موضحا ما يهدف اليه صديقه من وراء اخفاء صفاته الحقيقية ، حين خاطبه قائلا :

جعلت نفسك موضوعا للتندر ، فالناس اذا ذكروك تندروا وضحكوا وسخروا احيانا . والناس يرونك فيتندرون بك ، وانت ترضى عن كـل هـذا .

لمـاذا ؟

اتريد أن ادلك على السبب فى هذا التكلف ؟

انما هو انك تحب أن يعرفك الناس ، وتحب أن يحبوك . والناس يعرفونك بالبخل اكثر مما يعرفونك بالكرم ، لأن الكـرم شىء طبيعى لا تكلف فيه . والناس يتحدثون عن البخلاء وقلما يتحدثون عن الكرماء . والناس يتحدثون عن أصحاب السذاجة وقلما يتحدثون عن اصحـاب التفكير العميق .

والناس يتحدثون عن الخائفين المشفقين الذين يعدون أنفسهم جبناء اكثر مما يتحدثون عن الذين لا يخافون ولا يشفقون ولا يخترعون لأنفسهم ألوان الخوف والاشفاق .

أنت اذن تحب أن يعرفك الناس ، وتحب ان يألفك الناس ، وتحب أن تكون رجلا شعبياً . وقد نجحت فى ذلك حتى كدت أن تخلق لنفسك شخصية تشبه شخصية « جحا » !!

ولست أدرى ما الذى ستصنعه فى هذا المجمع ولا ما الذى سيصنع بك هذا المجمع ؟! » .

ولم يصنع المجمع بتوفيق الحكيم شيئاً ، ولم يصنع له هو شيئاً اكثر مما تضمنته كلمته يوم استقباله عضواً عاملا بالمجمع ، حول تبسيط اللغة العربية تخلصاً من صعوباتها وصولا الى التطور المرجو لها او كما قال :

وهذا التطور سيبدأ فى — رايى — بداية لطيفة مقبولة . وهى ان الفصحى ستحتفظ بخير ما فيها ، وستستعير من العامية خير ما فيها . وخير ما فى العامية هو هذا التمشى مع منطق اللغات الحية فى البلاد المتحضرة :

منطق الاقتصاد والبساطة والسرعة ، أى منطق العصر ، فتلغى من الفصحى الحركات فى اواخر الكلمات ، ويكتفى بالوقوف والتسكين فى اكثر الأحوال » .

وكان توفيق الحكيم يبغى من هذا « تبسيط قواعد النحو واللغة الى الحد الذى يجعل القارىء او المتكلم يستطيع القراءة بغير تعثر ولا تفكر » . .

★ ★ ★

اما موقف طـه حسين فقد كان الرفض لكل ما يبعد بالعربى عن عربيته ، ولم يعلن عن ذلك فى مصر فقط بل اعلنه فى اكثر من مكان بأرض العرب ، ومنها سورياً حين اعلن من هناك ( فى نص بين أيدينا غير مؤرخ ) فى محاضرة له بعنوان « نحو ميسر وكتابة ميسرة » .

فقال وكأنه يرد على توفيق الحكيم بشكل غير مباشر :

أنا أطالب بتيسير قواعد النحو وتيسير الكتابة العربية لتشيع اللغة العربية ، وتصبح لغة الشعوب حقاً ، ولغة حية حقاً ، ولكن من الناس من كتبوا فى هذه الأيام القريبة يطلبون الغاء قواعد الاعراب ، وتسكين اواخر الكلام لا لشىء الا لأنهم لم يتعلموا اللغة العربية حين كانوا تلاميذ فى المدارس » .

وتوجه طـه حسين الى العرب يخيرهم قائلا :

« انتم كذلك بين أثنتين : اما ان تريدوا وحدة الشعوب العربية حقا وتكونوا مؤمنين بهذه الوحدة حراصا عليها ، مستعدين للجهاد فى سبيلها بالحياة والنفوس والأموال والمنافع مهما تكن ، واذن فلابد من أن تجعلوا لغتكم العربية التى تكون وحدتكم لغة الشعوب لا لغة الخاصة .

واما أن يكون حديثكم عن هذه الوحدة كلاما لا اكثر ، وأعوذ بالله وأعيذكم من ذلك .

واذن فدعوا اللغة العربية تمت ، ودعوا اللغات العامية تصبح لغة الكتابة ، وانظروا بعد ذلك اذا أراد السورى ان يقرأ لكاتب مصرى ان يترجمه الى لهجته السورية ، ويضطر العراقى اذا اضطر أن يقرأ السورى أن يترجمه للهجة العراقية .

اختاروا فليس لكم بد من الاختيار » .



# خاتمة

« لو بعثت رسالة إلى :

طه حسين اليوم أقول له فيها :

إن كل ما سميناه عصر التنوير في العشرينيات

والثلاثينيات قد أصبح اليوم عصر التعتيم .. »

توفيق الحكيم

ونحن نختتم هذه الفصول ، من متابعة العلاقة بين طـه حسين وتوفيق الحكيم ، ينبغى أن نتوقف عند راى كلا منهما فى الآخر ، وان لم تخلو الفصول السابقة من ذلك ، غير أننا نريد التركيز على جملة هذه الآراء مرتبطة بزمانها ومكانها .

فنحن نذكر حين اتخذ طه حسين موقفا من وزارة الشئون الاجتماعية ، واتخذت الوزارة ضده بعض الاجراءات العقابية لاخراجه من لجانها رداً على انتقاده لها كوزارة شغلت نفسها بالدعاية والاعلان اكثر من شغلها بمهتمها كوزارة اصلاح ، ووقف توفيق الحكيم ( مدير الدعاية بهذه الوزارة ) موقفا سلبياً اغضب منه طـه حسين ، ومع ذلك عادت صداقتهما فيما بعد كأقوى ما تكون الى درجة أن رشح طـه حسين صديقه توفيق الحكيم مديراً لدار الكتب ، كما رحب به ترحيبا كبيراً حين استقبله فى مجمع اللغة العربية ، وشكره الحكيم على ذلك ، غير أننا نلاحظ حين اتهم توفيق الحكيم على صفحات جريدة «الجمهورية» بأن حماره مسروق من أديب أسبانى ، وان « حمار الحكيم » ليس من ابتكاره ، أن طـه حسين التزم الصمت فلم يتدخل ( على كثرة تداخلاته ومشاركاته فى مثل هذا النوع من المعارك والاتهامات الأدبية ) ليدافع عن صديقه توفيق الحكيم ، او على الأقل ليدلى بدلوه فى قضية السرقة الأدبية المثارة ضد صديقه ، بل ان طـه حسين حينما كان الصحفيون يسألونه لم يكن يجيبهم ، معتذراً بأن توفيق الحكيم يعرف رايه !

فهل كان هذا الصمت مقصوداً من طـه حسين ردا فى نفسه على الأقل ، على صمت توفيق الحكيم منه يوم وقف منه موقفاً سلبياً فى معركته مع الوزارة التى كان الحكيم نفسه مديراً بها ؟

ان توفيق الحكيم فيما يبدو ، هو الآخر لم ينس لصديقه هذا الموقف ، وروى لى فى حديث معه (*) عن واقعة ظاهرها برىء ، وباطنها أبعد ما يكون عن البراءة ، فقال :

« ان كتاب طه حسين « مع المتنبى » قد أحدث الكاتب الأديب « محمود شاكر » بشأنه ضجة فى الصحف متهما طه حسين بأنه نقل كتابه عن كتاب آخر عن المتنبى لمستشرق اسمه « بلاشير » ، وقد التزم طه حسين الصمت وقتها ، ويبدو أن هذه المسألة كانت سببا فى أن « اليونسكو » لم يدع طه حسين الى حفل اقيم فى باريس ، دعيت انا اليه ، ولم يدع طه حسين اليه ، رغم انه كان فى ذلك الوقت فى باريس لحضور مؤتمر لليونسكو ، ولما اكتشفت ان طه حسين غير مدعو الى نفس الحفل الذى دعيت لحضوره ، اعتذرت عن قبول الدعوة . ( وكنت فى باريس آ نذاك ) بحجة اننى مضطر للسفر الى القاهرة لظروف خاصة ، ولم اخبر طه حسين بذلك ابدا حتى لا أجرح مشاعره » .

★ ★ ★

فهل كان تذكر توفيق الحكيم ، لواقعة « المتنبى » و « طه حسين » و « بلاشير » و « محمود شاكر » ، مقصودة كرد فعل نفسى على موقف طه حسين منه حين اتهم بسرقة « الحمار » ، وموقفه منه أيضا حين علق على مسرحية « يا طالع الشجرة » لتوفيق الحكيم تعليقا حادا حين قال فى حديث لصحفى شاب (*) :

« ان هذا اللون من الأدب مقبول فى اللغات الأجنبية لأنه ينتهى الى فلسفة عليا ، واما الى التسلية والضحك ، اما فى اللغة العربية فلم اقرأ شيئا ذا بال ، اما رايى فى « يا طالع الشجرة » ، فان هذه

(★) فى ١٩٨٦/١٢/٢٠ .

(★) مأمون غريب الأديب والناقد المعروف الآن الذى استنفزه عدم ترحيب الحكيم للادلاء بحديث له ، فذهب الى طه حسين ونجح فى الحصول على حديث منه انتقاما من توفيق الحكيم .

المسرحية كلام فارغ ، فمسرح اللا معقول فى العالم كله لا يبعث على الضحك ، وكذلك مسرحية الحكيم لم تضحك احداً » .

واضاف « ان حرص الحكيم على أن يأتى بأشياء غريبة هو الذى دفعه الى هذه المحاولة ، وباخلاص .. فهذه المسرحية نوع من الهذيان العقلى .. وهى تجربة كما قلت فاشلة ، والدليل على فشلها أن الحكيم عدل عن هذا الاتجاه فيما بعد » .

★ ★ ★

فهل كانت بعض آراء طـه حسين المنشورة ، والتى تعكس موقفا سلبياً من توفيق الحكيم كمبدع ، كما رأينا فى موقفه من « يا طالع الشجرة » ، وكما سنرى فى حديث لطه حسين مع وفد من الأدباء نشره الملحق الأدبى « للأخبار (*) » وجاء فيه كلام عن بخل الحكيم أدرك طه حسين بنفسه أنه « سيزعل منى » ، وهو ما حدث بالفعل حين نقل ثروت أباظة رد فعل الحكيم الى طه حسين بعد نشر الحديث ، فجاء رده أن حديثه قد تم تجريفه !

فهل كانت بعض آراء طه حسين هذه قد أحدثت لدى توفيق الحكيم ضيقا نفسيا أراد الرد عليه حتى بعد أن رحل طه حسين عن دنيانا ، فنجده فى حديث له باحدى الصحف (**) ينفى عن طه حسين انه كان أول من نادى بمجانية التعليم ، وينسب الى نفسه هذا الفضل حين يقول :

« خضت بنفسى سنة ١٩٣٤ ، معركة مجانية التعليم ! ، وان كنت لا أذكر الآن تفاصيل القضية التى خضتها ! ولكنى أذكر بالتحديد انه كان هناك نوع من المجانية فى ذلك الوقت أى عام ١٩٣٤ ، كان هناك نوعان : الأول مجانية التفوق ، والثانى مجانية الفقر ، الأولى تمنح لمن يتفوق فى التعليم ، والثانية لمن حضر شهادة فقر ، وكانت هناك درجات من المجانية : نصف مجانية ، وربع مجانية ! ومجانية كاملة ، ولكن كل

---

(★) ١٩٦٩/١٢/٧ نقلا عن « طه حسين يتحدث عن اعلام عصره » للدكتور محمد الدسوقى ـ دار المعارف .

(★★) مع يوسف القعيد فى مجلة المستقبل أول يونيو ١٩٨٥ .

ذلك نسى تماما ، ولا نذكر الآن سوى مجانية يوليو ، والبعض يتحدث عن مجانية طـــه حسين ! » .



ولا احد يذكر لتوفيق الحكيم انه خاض معركة من اجل مجانيـــة التعليم ، فما بالك بتوفيق الحكيم نفسه الذى لا يذكر تفاصيل معركـــة تجعل له السبق على طـــه حسين ، فليست هذه بالقضية التى يمكن له ان ينسـاها خاصة وأنه مثلا يذكر فى « سجن العمر » تفصيلات مـــن الزمن البعيد ، وفى كتابه الآخر « وثائق من كواليس الأدباء » ، يؤرخ بالكلمة والوثيقة لمعاركه فى الصحف عن المرأة والنظام البرلمانى .. الخ. لذلك يضبح حديث توفيق الحكيم عن معركة خاضها من اجل مجانيـــة التعليم لا مجال له من الصحة لأنه لا يقوم على قدم ولا يستند الى دليل، ومن ثم يصبح الحديث فى مثل هذا الموضوع محاولة لانتقاص فضل طـــه حسين ، وهو ما لم يجرؤ توفيق الحكيم على القول به فى حديث داخل مصر وانما فى مجلة تصدر فى الخارج لا يدرى بها الا القليل فى أضيق نطاق ، ذلك لأن قضية مجانية التعليم قد حسمها التاريخ وسجلهـــا لصالح طـــه حسين ، ولا يستطيع توفيق الحكيم فى كتابه « مصر بين عهدين » أن يطرح قضية سبقه الى خوض معركة مجانية التعليم ، حين ينتقد ( شعار ذلك الصديق عن التعليم الذى كالماء والهواء ...

لم اتحمس لذلك الشعار ، اذ وجدته مفتقراً الى الدقة والعمق .. فالماء والهواء يشترك فيهما الحيوان مع الانسـان .. ولذلك فضلت عليه شعاراً آخر هو : « الطعام لكل فم وعقل » ، لأنه يميز الانسـان عـــن الحيوان .. فالطعام للانسـان مختلف عن الطعام للحيوان .. ونوع الطعام يميز الشخصية عند الانسـان .. واذا كان المقصود بالتعليم الذى كالماء والهواء هو محو الأمية عند الجميع ، فما قيمة محو الأمية الأبجدية مع بقاء الأمية العقلية ؟ .. محو الأمية العقلية يحتاج الى طعام عقلى لا بد من اختياره بدقة واعداده بعناية . لقد انتشر التعليم الذى كالماء والهواء بالمجانية ولم يتغير شىء كثير فى عقلية الأمة .

الذى كثر عدده هو مكاتب الموظفين الذين لا ينتجون شيئا يرقى بعقلية الأمة . كما اصبح التعليم مجرد الحصول على شهادة للحصول على وظيفة ، لا شأن له بالتكوين الثقافى للعقلية والشخصية » .

ونتساءل اذا كانت الفكرة نبيلة فما ذنب طـــه حسين فى تطبيقها ، اننا نلاحظ ان انتقادات توفيق الحكيم لطـــه حسين كشخصية ومواقف وقضايا لم تظّهر الا بعد رحيل طـــه حسين ، وهذه خاصية لا ينفرد بها توفيق الحكيم وحده ، فقد سبقه اليها طـــه حسين نفسه حين انتقـــد فى ندوة تليفزيونية ( ضمت أدباء مصر ) مذاعة ، عبقريات العقـــاد وقـــال :

« قرأت هذه العبقريات واعترف بأننى لم أفهم « عبقرية عمر » ولا « عبقرية الصديق » واستغربت فى « عبقرية محمد » لأنى وجـــدته يوازن بين واقعة « بدر » وبين وقائع نابليون ، ولا علاقة مطلقاً بين جيش لم يكن يبلغ الفى مقاتل وبين جيوش بونابرت الهائلة » !

فقد جاء انتقاد طـــه حسين للعقاد بعد وفاته ايضاً ، وجاء بعد أن كان قد بايع العقاد بامارة الشعر بعد وفاة شوقى بعامين ، ١٩٣٤ .

ومهما يكن من أمر فان للنفوس البشرية أسرارها ومكنوناتهـــا ، فالأدباء بشر يسرى عليهم ما يسرى على البشر . فى هذا الاطار فقط يجب ان نأخذ ما قالوه عن بعضهم البعض أحياء وأمواتاً ، فى حجمه الطبيعى دون تهويل ، فهذه تعليقات نفوس تسر أحيانا وتغضب أحيانا أخرى ، وتستوى أحياناً وتتقلب أحياناً أخرى ، ولا يبقى لنا من هؤلاء الأدبـــاء الا ما يجب ان نحتذى به فى علاقاتهم الانسانية السامية وأدبهم الرفيع ومعالم التنوير التى تركوها لنا لنهتدى بها .

★ ★ ★

ورغم ما قاله توفيق الحكيم مما رصدنا بعضه ، فى حق طه حسين ، وهو ما لا يشغلنا كثيراً او حتى قليلا لأن جوهر العلاقة بينهما كانت اقوى واعمق فى دلالاتها من كلمات عابرة قالها هذا فى حق ذاك فى ظروف

معينة نقول رغم ما قاله الحكيم فى حق صديقه طه حسين، إلا أنه فى مرات أخرى كان منصفاً، ولعل هذا الإنصاف هو التعبير الحقيقى عن مشاعر توفيق الحكيم تجاه صديقه طه حسين الذى يقول عنه (*) :

« انه يحب التفكير العام الواضح ، والحديث السلس النفاذ ، ولا يحب التركيبات العميقة فى الفكر والفن ، وعبقرية طـه حسـين فى حياته اكثر منها فى كتاباته ، وكثيرون يستطيعون ان يكتبوا ما كتب طـه حسين ولا يكونون مـع ذلك طـه حسين لأن طـه حسـين فى الحقيقة هو شخصية واشعاع اكثر منه ابداع » .

ورغم ما فى هذه الكلمات من غمز ولمز الا ان توفيق الحكيم يرى فى طـه حسين صرحاً فكرياً يؤهله ويرشحه لجائزة نوبل كمستحق لهـا عن جدارة واستحقاق ، فيقول فى نفس الحديث المشار اليه :

« لو ترك لى الخيار لرشحت د. طه حسين لهذه الجائزة ، فهو فى نظرى يستحق نوبل لاعتبارات كثيرة ، منها انه رجل ضرير استطاع أن يخرج من البيئة الدينية التى نشأ فيها الى أوربا ويعمق تفكيره ويقيم جسراً ثقافياً بين الأزهر والسوربون ، فلقد كان يتوجب على الغـرب أن يقدر هذا الجسر فضلا عن الصرح الفكرى الذى شـيده انسـان ضرير ، ثم ان طـه حسين كان مناضلا ، لقد جاهد من وجهة نظـر انسانية ضد الظلام وابدع ، اجل كان يستحق فعلا جائزة نوبل للآداب» .

★ ★ ★

ولما كان عميد الأدب العربى قد رحـل دنيانا ، ومصر والعـرب مشغولون بعبور الهزيمة الى النصر فى حرب اكتوبر — رمضان ، فان توفيق الحكيم لم ينس وداع صديقه الكبير فى كلمة موجزة مؤثرة نشرها فى « الأهرام » فى اليوم التالى ٢٩ اكتوبر ١٩٧٣ ، لوفاة الأديب الكبير جعل لها عنوانا رائعا :

« فارق الحياة بعد أن فارق اليأس روح مصر » .

---

(★) فى حديث لمجلة الوطن العربى فى ٨ يونيو ١٩٨٤ .

أوجز فيها وجمع تاريخ علاقته بطـــه حسين فقال :

« فجيعة كبيرة .. فجيعة الأدب العربى فى عميـــده العظيـم ، وفجيعتى اكبر فى اخ قديم كريم . واذا كان اللسان العربى منذ نطق ادبا سوف ينطق الى آخر الدهر باسم طـــه حسين وفضله على لغة العرب ، فان لسان القلب لن يكف عن ترديد ذكراه ما بقيت على قيد الحياة . فقد جمعتنا اجمل ايام العمر كما جمعنا الفكر على صفحات كتاب .

انك أيها الصديق العزيز اذ تعبر الدار الفانية الى الدار الباقية انما تعبرها بنفس مطمئنة راضية بعد أن عبرت بلادك الهزيمة ، أن روحك العظيمة لم تشأ أن تفارق جسدك الا بعد أن فارق اليأس روح مصر .

اللهم اغمر برحمتك الواسعة ابنا لمصر من أعظم أبنائها الذين أدوا لها من الخدمات ما سيبقى منقوشا فى سجل الخلود » .

★ ★ ★

وعلى ندرة مشاركة توفيق الحكيم فى الحياة الاجتماعية من تهنئة لعزيز ، أو تعزية فى قريب او صديق ، فانه حرص على أن يكون أول المتصدرين لجنازة الفقيد العظيم .

وحين سؤل (*) عن مضمون رسالة الى صديقه يمكن أن يبعثها الى طـــه حسين فى العالم الآخر ، قال توفيق الحكيم ملخصاً الصورة بين عصر طه حسين وعصر ما بعد طـــه حسين « لو بعثت رسالة الى طـــه حسين اليوم أقول له فيها :

ان كل ما سميناه عصر التنوير فى العشرينيات والثلاثينيات قد أصبح اليوم عصر التعتيم ، فالأجيال الجديدة لا تعرف شيئا الآن عما سبق من جهود فى سبيل فتح الأذهان وحرية الأفكار .. وان الأمية لم تعد فقط فى الحروف الهجائية بل اضيفت اليها أمية فى العقلية » !!!

---

(★) مجلة الوطن العربى ٩ يونيو ١٩٨٣ .

# وثائق

من الحكيم إلى طه ٢٨/٥/١٩٣٣: من المستحيل على الآن

لن أكتب شيئا أو لن أفكر في شيء دون أن أعرضه عليك.

دمنهور في [illegible]/١٠/٩٣٦

(5)

عزيزي الدكتور الكبير

أبعث لك هذا رسالة من مستشرق انجليزي اسمه مستر نويل باربر أعرف انه يبحث في كل ما يتصل بالبيئات الشعبية والأدغال والأناشيد والمسرح المحلي في الشرق الأدنى. وانه أقام في تونس ومراكش زمنا من أجل هذا الغرض. ثم جاء مصر ومكث فيها عامين ثم نزح الى فلسطين وهو يقيم في القدس الى أن يغادرها برحلة الى العراق والشام [illegible]

ولقد سبق أن بعث الى شاب اديب (أمين حسونه) في أول الصيف الماضي خطابا يطلب الي فيه نسخة من عودة الروح لهذا المستشرق ففعلت.

انى لم أرد بعد على المستر باربر بنعم أو بلا، قبل ان اعرض الأمر على الدكتور. ان اثر الدكتور العظيم في حياتى الأدبية يبيح لي أن أطلب رأيه بل اشراكه بالفعل فيما تدعو اليه هذه الحياة الأدبية من تصرفات.

أرجو للدكتور ان يطول دوام صحته اعتزازي

وان يشعر بما أحمله له في نفسي دائما من حب واخلاص واكبار

المخلص
توفيق الحكيم

سأحمل ما في حوزتي للحضور الى القاهرة [غير محل] هذا الاسبوع ان شاء الله.

[ترجمة] مشكلة أخرى اعرضها على الدكتور: جاءني الآن [مجلة كتاب] من لجنة التأليف والنشر ردا على استعلامي عن حقوق التأليف الخاصة بأهل الكهف [مسرحية شهرزاد] في اللجنة بالطبع ... يصح لا الحق في اعادة الطبع بدون رغبتي في أي وقت كما يصح الحق في الاستيلاء على جزء من حقوق المؤلف اذا ترجم الكتاب أو مثل على مسرح.

او اقتبس موضوعه للسينما او للإذاعة الخ ..؟!

هذه الحقوق التي تترتب للجنة لمجرد طبع الكتاب

باللغة العربية؟ معناها اني قد تنازلت عن حقوق التأليف

نهائيا [illegible] الى ما شاء الله. مع ان اللجنة لم تشتر

حق التأليف. ان قانون اللجنة فيما أعرف كقانون

الحماية الانجليزية. لا قاعدة لها غير قواعد العدل

والانصاف. ان رأيي الآن هو ان اقوم

انا نفسي بطبع هذا الكتاب كما فعلت اولا.

او ان ابيع حق الطبعة الاولى فقط اي حق طبع

الفي نسخة فقط لناشر من الناشرين الذين

طلبوا هذا الطلب.

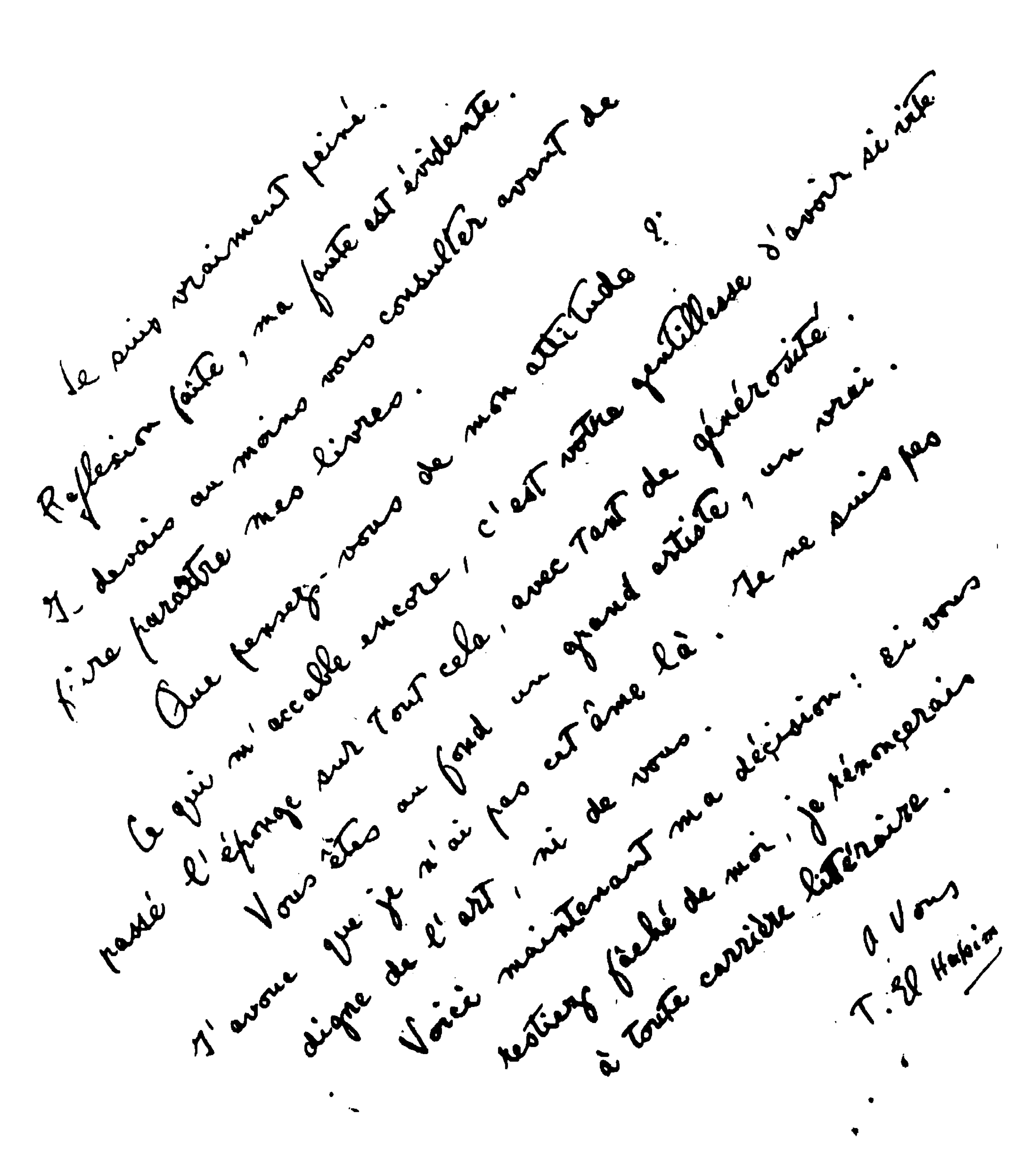
ارجو ان تحل لنا [illegible] ان نبرم شيئا كذلك

او ارجئ اهل الكهف بدون رأي الدكتور.

المخلص

توفيق

مشكلة خاصة بأهل الكهف يعرضها الحكيم على طه فى خطاب كتبه إليه من دمنهور ٢٨/١٠/١٩٣٣.


Je suis vraiment peiné.
Réflexion faite, ma faute est évidente.
J_ devais au moins vous consulter avant de
faire paraître mes livres.
Que pensez-vous de mon attitude ?
Ce qui m'accable encore, c'est votre gentillesse d'avoir si vite
passé l'éponge sur tout cela, avec tant de générosité.
Vous êtes au fond un grand artiste, un vrai.
J'avoue que je n'ai pas cet âme là. Je ne suis pas
digne de l'art, ni de vous.
Voici maintenant ma décision : si vous
restiez fâché de moi, je renoncerais
à toute carrière littéraire.

à Vous
T. El Hakim

من خطاب للحكيم بالفرنسية يعترف فيه لطه بخطئه وأنه سيتخلى عن الفن وكل سيرته الأدبية إذا ظل طه غاضبا منه.

CARTE POSTALE تذكرة بريد

Partie réservée à la correspondance كل يستعمل للتحرير

Mon cher ami,

Mon ouvrage n'a d'autre prétention que de mettre en dialogue la biographie du Prophète. Je n'y interviens que rarement, pour ne pas nuire à l'authenticité de la figure historique. C'est un travail de "mise en scène" littéraire, si on peut ainsi le nommer. A vous

7/2/1936 T. EL. H

Adresse seulement العنوان

Dr Taha Hussein

3, rue EL Baroudi, 3

EL Zamalek

En Ville

EGYPTE — CAIRO

رد توفيق الحكيم على طه حسين باللغة الفرنسية يوضح له طبيعة كتابه عن «محمد» صلى الله عليه وسلم.

سيدي الأستاذ الجليل طه بك حسين

حظيت بمؤلفكم (القصر المسحور) الذي تفضلتم بإهدائه
إليّ فأكبرت منكم ذلك العطف الكريم ولا شك عندي
في أنني سأجد بين طياته غذاء يضاعف شكري ويحفظ
لكم في نفسي أجمل الذكريات — أدامكم الله منارا
للعلم والأدب —

أم كلثوم
إبراهيم

خطاب من كوكب الشرق أم كلثوم تشكر فيه طه حسين على إهدائه لها كتابه المشترك مع توفيق الحكيم «القصر المسحور».

العنوان التلغرافى : سنديكول بمصر

تليفون رقم { ٥٤٤٠٠ / ٥٤٠٠٦

شارع ~~قصر~~ النيل نمرة ٣٦

ع مارس ٤٧

حضرة صاحب السعادة أستاذنا الأكبر مفخرة العلم والأدب

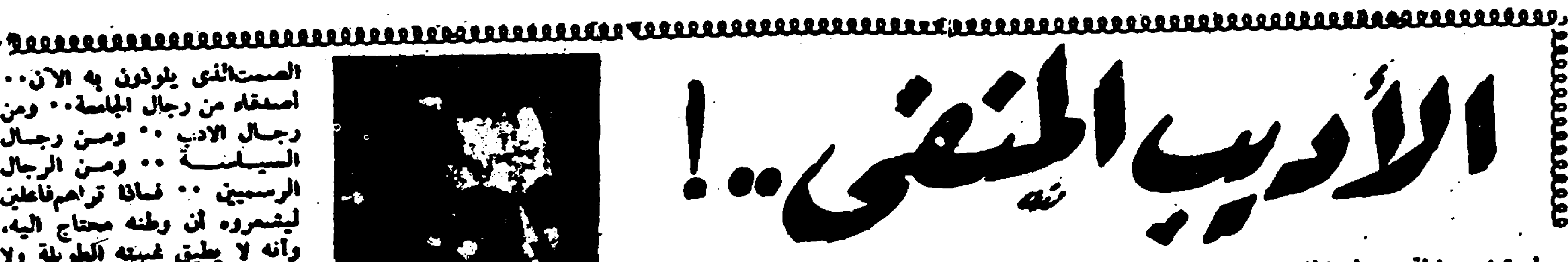
الدكتور طه حسين بك

عدت من حلوان بعد أسابيع طوال قضيتها مستشفيا وقد خفت عني العلة ولكن لم تزل وأشعر بضعف ما زال شديدا حتى لا يمكنني من التشرف بزيارتكم يوم الأحد القادم فأعتذر على أسف شديد مني ولكني إذا شعرت بتحسن لم أحرم نفسي نفع اللذة من شوقي إليكم وأعرف أنكم ستغفرون لي تلك المفاجأة.

أرجو تقديم احترامي الخالص لحضرة السيدة الفاضلة الأم مثلا عقيلتكم وتحياتي لنجليكم النجيبين اللذين بقيتم وأوافق بين الذكر والأنثى ذكاءً وثقافة وطهارة أخلاق ثم أكرر لأستاذنا الأكبر آيات ودي وإجلالي

المخلص خليل مطران

اعتذار من خليل مطران إلى طه حسين على عدم زيارته بسبب مرضه .



# الأديب المنفى ..!

بقلم
توفيق الحكيم

لم تنفه سلطة من السلطات ، ولا هيئة من الهيئات .. ولكنه نفى نفسه بنفسه بعيدا عن بلده .. اذ شعر أن بلده لم يعد فى حاجة اليه ... فقد اعتصر هذا البلد خير عمره الذى مضى ، وجهده الذى انقضى ، كما يعتصر الكرم الطيب العريق ويسكب روحا صافيا ، ونورا نقيا فى نفوس الناس ... ذهب الى بلاد تعرف قدره وفضله .. وتدرك أنها فى حاجة الى علمه وادبه .. حاجة لا تنتهى ولا تزول .. لانهم فى تلك البلاد لايعرفون حدا للفضل والعلم .. ولايقيمون سدا فى وجه العلماء والادباء ... لقد دعته جامعة مدريد ليلقى فيها سلسلة من المحاضرات .. ثم دعته جامعة السوربون ليحاضر طلابها طول العام ... هذا ماوافتنا به أخيرا أنباء الصحف ... فهو اذن قد استقر به المقام خارج مصر ... لاينوى العودة اليها فى القريب .. وربما وجد من عناية القوم به هناك ، ماينسيه طعم المرارة التى ذاقها من اهمال قومه هنا وذويه .. وربما أغرته تلك الحفاوة بالبقاء الطويل فى أرض ، يزهر فيها الجد ، ويثمر المعروف ...



على أن المسألة التى يجب أن تطرح هى : من الرابح فى ذلك ومن الخاسر ؟ .. أما الدكتور طه حسين بك فما نظنه يخسر شيئا .. فهو اينما سار فى بلاد النور ، وجد التقدير فى استقباله ... ولكن الخاسر فى ذلك بلاده .. فهى التى ستتعرض للوم والتقريع يوم تعرف الدنيا أن مثل هذا الاديب لايجد فى وطنه غير الاهمال والاغفال ... انها صفحة لانحب أن يسطرها التاريخ لمصر فى نهضتها الحاضرة .. بل صفحة أخرى كنا نود أن تكتب : هى أن هذا العصر ، الذى ازدهرت فيه المعارف والآداب فى مصر ، قد عرف كيف يذكر لصاحب الفضل فضله ، دون نظر إلى أى اعتبار ... وان فضل طه حسين لا يقف عند حد آثاره الباقية فى الادب الحديث ، بل يتعداه الى أثره القائم فى تلك المنارة المضيئة فى الشرق .. التى جاهد فى بنائها .. حجرا فوق حجر .. لن يستطيع الزمان أن يجفف من احجارها بلل عرقه ، ولا أن يمحو طابع اصابعه ! ... تلك هى : الجامعة ! .. نعم الجامعة .. التى يبدو منها اليوم أنها ليست فى حاجة الى يده .. بينما تهتف به جامعات أوروبا فاتحة له الاذرع والقلوب ...



●

مامن شك فى أن لطه حسين اصدقاء .. على الرغم من هذا الصمت الذى يلوذون به الآن .. اصدقاء من رجال الجامعة .. ومن رجال الادب .. ومن رجال السياسة .. ومن الرجال الرسميين .. فماذا تراهم فاعلين ليشعروه أن وطنه محتاج اليه ، وأنه لا يطيق غيبته الطويلة ولا نفيه المختار ؟! ..

●

اعرف أن الامر ليس ميسرا .. وان كان فى الصدور نوايا طيبة ، وفى النفوس شعور حسن ... ولكن أما من سبيل الى مسعى مشترك ، وصوت متحد نبلغ بهما ما نلتمس من غاية ؟ ..

ان لم يكن فى المقدور عمل مجد .. ولم يبق لنا غير قول يرسل .. فلا أقل من اطلاق الصوت عاليا ، ليصل اليه فى منفاه ... يدفىء برد غربته ، ويخفف من لوعته .. ويؤكد له أن مصر لن تنساه ! ..

توفيق الحكيم

مقال توفيق الحكيم الذى يتحدث فيه عن خسارة مصر بهجرة طه حسين. أخبار اليوم ٩/١٠/١٩٤٨.

(8)




Place de l'Opéra
12, Boul.d des Capucines
PARIS (9)

باريس في ٣ سبتمبر ١٩٢٩

صديقي العزيز

قضيت كما كتبت لكم، ولما أن عرفت أن عليّ الهبوط من شمال فرنسا إلى جنوبها، ثم الصعود من الأرض إلى النجم، على ارتفاع أربع عشرة مئة من الأمتار، وأن أركب القطار، ثم أنتقل منه إلى «الكار» حتى أخذني الدوار!... فأنا أقصى جهودي أن أهبط من الفندق إلى القهوة، وأصعد من القهوة إلى الفندق.. فإذا غامرت يوما وذهبت إلى حي متطرف من أحياء باريس، فإني أقول: «اللهم ردّ غربتي!...» وأعود حالاً إلى مقري وأنا أتنفس الصعداء... ثم كيف أترك باريس الآن، وقد بدأت المسارح تفتح أبوابها باباً بعد باب.. وأخذ «المحار» البرتغالي و«الطول» البحري تظهر بشائره في مطعم

« ملك الأصداف » في «بيران كليشي» !... وأنا من هواة « المحار » .. لا أتعب من ملاحظة بائعه وهو يفتحه بسكينه ، ويرصه في أطباقه ، بجانب هرم المقاعد .. فتسافر أنظاري خلف الأطباق ، ثم مد شعب بديع الزمان ...

لا .. ليس من السهل ان أترك باريس الآن .. خصوصاً وان مقامي فيها لن يجاوز اليوم العشرين من هذا الشهر .. فأمامي إذن أقل من اسبوعين ، أعد فيها عدتي للرجوع إلى مصر .. فاذا أردتم من مصر شيئاً فأني رهن الإشارة ..

وختاماً أرجو لكم ولمدام ومؤنس وفريد مقاماً طيباً وعوداً حميداً .. وأن أراكم في مصر هذا الخريف على أحسن صحة وأتم هناء بإذن الله والسلام

توفيق الحكيم

Tewfik el Hakim

حاشية - السجاير التي عندي كيف أوصلها إليكم !.. وكذلك لكم في ذمتي هدية هي زجاجة « أولد پار » جئت بها لكم من مصر ونسيت اخبركم بأمرها ... أظن الأوفق أن أحمل هذه الأشياء في حرزة وأن أودعها أمانة لكم عند بواب « لوتيسيا » .. هل من رأيكم ذلك ؟!

خطاب الأعذار الواهية من الحكيم إلى طه.

(٦)




Place de l'Opéra
12, Boul^d des Capucines
PARIS (9)

باريس في ١٤ سبتمبر ٤٩

صديقي العزيز!

قرأت المقال اللطيف، بلذة وسرور، ولا أرى
في نشره بأساً.. فالأسماء مستورة.. وليس من السهل
تمييز أصحابها، ونصف أهل بلدنا ولله الحمد يخافون من
المصاعد.. وأنا أعرف في مصر كثيرين، يتجشمون تسلق
الدرج المرتفع، حتى تنقطع أنفاسهم، ولا يأمنون
استخدام المصعد.. لأنهم يعتقدون انه سيفلت
من حباله ويسقط بهم في الأعماق.. أما أنا فأقسم
اني ما خفت المصعد قط يوماً.. لأني أسكن
في أغلب الأحيان في الطابق الأول..

حضوري الشام في ساحل البحر ليس من الميسور،
لأني فيما يبدو لن أركب السفينة من مارسيليا.. ولكني
قد أركب الطائرة من باريس!.. نعم الطائرة!.. وهنا

موضع الدهشة !... أهي شجاعة مفاجئة ؟.. لا أظنه ذلك..
إنما هي الضرورة .. ضرورة عودتي إلى مصر قبل افتتاح
موسم باريس ، لأن معرضاً ثم سيفتتح في بيتي ..
سنشاهد فيه الطبيعة ستار الوجود عن مولود .. إن
هذه اللحظة الأولى والصيحة الأولى لنور الحياة فيها من
الروعة ما ينسينا أحياناً كل جمال الفن البشري ... ذلك
إننا هنا أمام فن الله !..
جعلت السجاير في حزمة وشرائط وترتيبها
في هيئة بوابة اللوفيا .. وأتمنى لكم جميعاً إقامة
طيبة في فرنسا ، وعودة سالمة غانمة إلى مصر ..
وأرجو أن تكتبوا إليَّ دائماً بما يلذكم ، وأسأل
الله أن يجمعنا في بلادنا مع خير حال ، وأن يوفقنا هناك
إلى إنجاز العمل التربوي الذي تعاهدنا عليه .. واحتراماتي
للمدام وتحياتي للجميع مع أطيب تمنياتي

توفيق الحكيم

رد الحكيم على طه والذي يطمئنه فيه على مقاله الذي بعثه إليه لأخذ رأيه فيه ناصحا له بنشره .

الصفحة الأولى والأخيرة من أطول خطاب لتوفيق الحكيم إلى طه حسين - مكون من ٦ صفحات.

# الاهـــداء

الي الاستاذ الكبير الدكتور طه حسين

" وما أريد أن اخفي علي صديقي الاستاذ عزيز اباظه "

" اني لست من الكلفين بالقصص التمثيلية التي "

" تعرض علي الناس شعرا في هذه الأيام • وشعرا "

" عربيا بنوع خاص "

هذا كلام قلته في مقدمتك لمسرحيتي " غروب الاندلس " وعرفه الناس عنك •

ولكننا مع ذلك - زميلي وأنا - نقدم لك هذه المسرحيه الشعرية " شهريار " هدية مرفوعة • وما نظن أن لك حيلة الا أن تقبلها •

ولعلك تذكر أنك منذ سنوات كتبت قصة قصيرة عن شهرزاد وأختها دنيا زاد • وتفضلت فأهديتها الي • فظللت منذ حظيت بهذا الأيثار أحاول أن أفرغ لمعالجة تلك الأسطورة الرائعة ولكن شواغل الحياة تتجسم وتترادف فأهمل وأمهل • ثم وافاني بعد ذلك صديقي الاستاذ عبد الله البشير بمسرحيه عن " شهرزاد " كتبها بالانجليزيه ليمثلها طلبته بمعهد المعلمين فاحتشدنا لهذا الموضوع علي بعض هديك فكانت هذه المسرحية •

فاذا نحن اهديناها اليك • فذلك لأنك الي جانب مكانك السامق في سماوة الأدب صاحب وحيها وباعث فكرتها •

فانظر كيف تتضافر الأسباب لتجعل حتما من الحتم أن يُحمل اليك بعض ما تكره أو علي الأقل بعض ما لا تحب •

وكأني اشهدك الآن يا استاذى الجليل وأنت تضرب كفا بكف • بل لكأني اسمعك مخافتا تتمثل بقول الحارث بن عباد

لم أكن من جناتها علم الله

وأني لحرها اليوم صال

والسلام عليكم ورحمة الله !!!

الشاعر عزيز أباظه يهدى مسرحيته المشتركة «شهريار» معترفا باستلهامها من قصته القصيرة «شهرزاد وأختها دنيازاد»

# الفهرس




مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الإيداع بدار الكتب ١٤٤٤٥ / ٢٠٠٣

I. S. B. N 977 - 01 - 8793 - 3